157 www.liilas.com/vb3

روايات أحلام

هي وهو والخوف

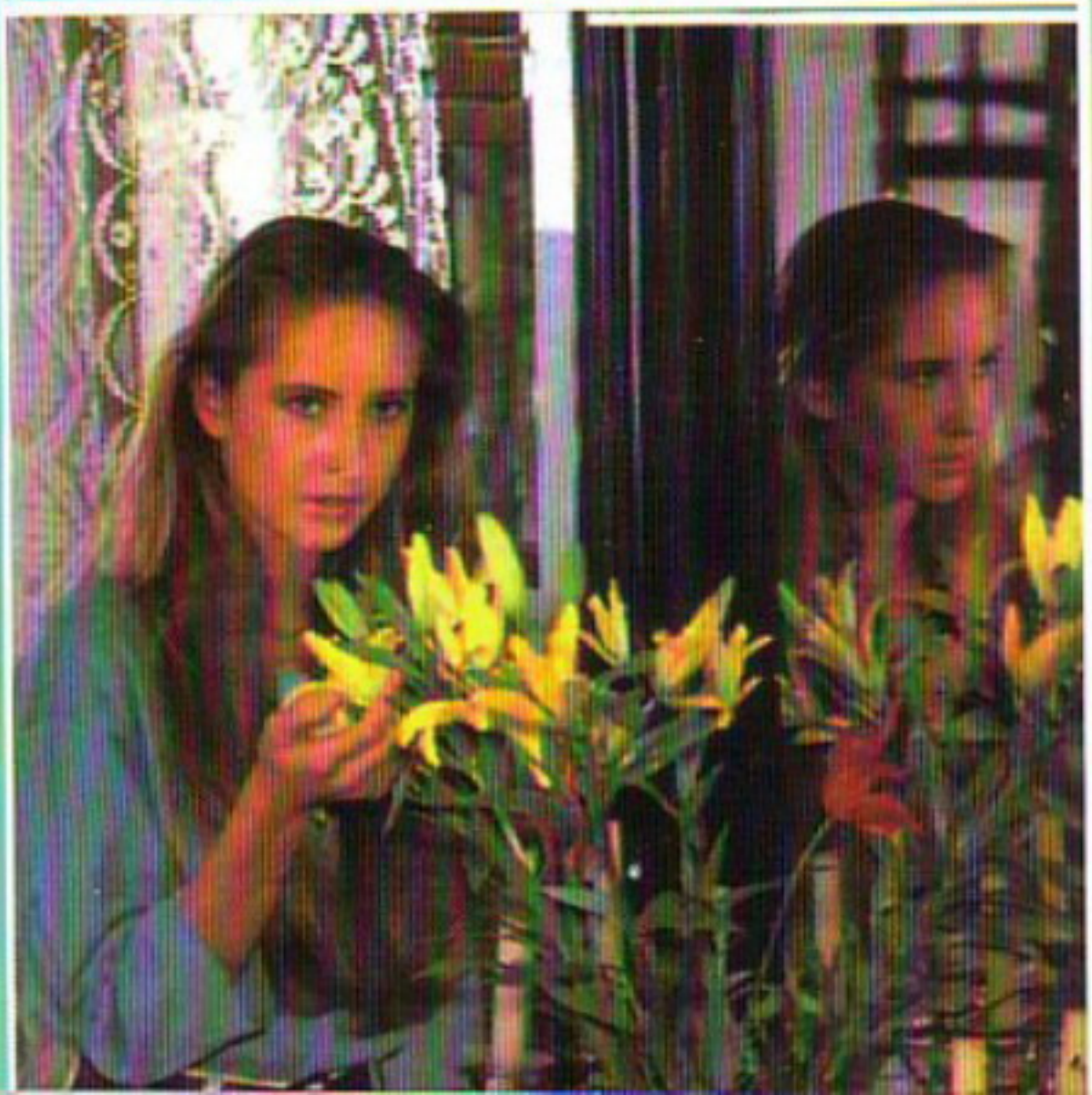

هي وهو والخوف

www.liilas.com/vb3

ظل السؤال يعاود ماندي مراراً ، لماذا يلاحقها اليوت فرايزر هكذا ! فلديه خطيبة جميلة تهتم به . وإذا كان راغباً في العبث فهناك الكثير من الفتيات . فلماذا اختارها هي ! لماذا لا يجد لنفسه فتاة من طبقته يرضي بها غروره ! أم لعله يراها مختلفة ! ربما يظنها سهلة المنال أو يستغل حاجتها المادية ...

- قولي فقط "نعم" ولو لمرة واحدة في حياتك بدون موازنة الصواب والخطأ !

كان من الصعب مقاومته ولكن المنطق انتصر في النهاية ... فقالت :

- أدرك أنك معتاد أن تقع النساء تحت قدميك ... لكنني لست هكذا ... ليس في نيتي أن أوفر لك تجربة من نوع جديد . وما عليك سوى التفتيش في مكان آخر .

www.liilas.com

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

www.liilas.com/vb3

١ ـ خطيب صديقتي

قالت أنجيلا بحماس وابتسامتها تشرق في ردهة مبنى الشقق السكنية المعتمة:

ـ تعالي! ستكون حفلة غير رسمية.. أعرف أن السكن إلى جوار من يقيم الحفلات بصورة مستمرة هو أمر غير مريح. إنها غلطة ليلي عادةً.. لكن هذه المرة أنا الملامة.. إنه حفل صغير يحضره بضعة أصدقاء للاحتفال بيوم مولدي وإعلان خطوبة، ولو متأخرة!

اتسعت عينا ماندي وسألت بلهفة: «أنت مخطوبة؟».

نظرت بسرعة إلى إصبع أنجيلا الخالي، فضحكت الفتاة الأخرى واعترفت قائلة:

ـ سأكون مخطوبة بعد أمسية الغد.. سأتزوج من أليوت فرايزر.. ربما رأيت سيارته في الخارج.. إنه يملك «لامبرغيني» سوداء!

ابتسمت ماندي:

ـ أوه.. أجل. أظنني عرفت من تعنين.

صاحت أنجيلا بصوت درامي:

ـ وكيف لك ألا تعرفيها؟ حسناً.. هل ستأتين؟ أتمنى هذا.

ترددت ماندي في تلبية دعوة جارتها، فمنذ انتقالها للسكن في شقة في طابق المنزل الأرضي القديم ذي الطراز الفيكتوري لستة أسابيع مضت، لم تتح لها فرصة التعرف إلى جيرانها.. كان عملها في المؤسسة يشغل معظم أوقاتها.. إضافة إلى هذا، هي لم تأتِ إلى لندن لتتمتع بحياة اجتماعية.

مع ذلك لم يكن بالإمكان تجنب ساكني الشقة التي فوق شقتها فقد كانوا من النوع الذي قرأت عنهم في المجلات الراقية: نمط حياتهم مختلف تماماً عن حياتها.. حسب قول السيدة موركير زوجة الوكيل التي تميل إلى الثرثرة، أنجيلا سيمور ـ كلير هي الابنة الوحيدة لعضو محافظ في برلمان لندن في الجنوب.. بينما زميلتها في السكن ليلي، أو ليليان بنتلي هي من أسرة مرموقة.

مهما كانت الحقيقة في هذه القصة، ولا سبب يدعو ماندي إلى عدم تصديق ما قالته السيدة موركير، فقد بدت الفتاتان لطيفتين.. في الواقع تحدثت ماندي مع أنجيلا فقط، لكنها لا تعارض أن تتصادق مع كليهما، مع ذلك ما كان لديها رغبة في توريط نفسها في موقف تضطر معه إلى رد ضيافتهما.. فالراتب الذي تتقاضاه من المؤسسة جيد إنما لا تستطيع خداع نفسها والادعاء بأن الأمور ستكون سهلة.. إيجار الشقة مثلاً مبلغ مرتفع، صحيح أن الخال كالڤن يخفف بعض الحمل عنها إلا أنها ملزمة بإرسال بعض المال إلى أمها من أجل ساري لذا فإن إقامة الحفلات هو أمر أبعد من قدرتها.. وربما من الأفضل أن تكون صادقة وتعترف بهذا في الحال.

نقلت كيس البقالة الذي يحتوي على تموين أسبوع من يد إلى أخرى، وتمتمت:

ـ هذا لطف كبير منك أنجيلا.. لكنني لا أعتقد..

ـ أوه.. لا ترفضي المجيء! أنا واثقة أنك لن تندمي بالراحة إن جلست هنا وحدك كل ليلة.. سامحيني إذا بدا لك هذا تطفلاً، لكنني وليلي لاحظنا أن لا أحد يزورك.

احمر وجه ماندي بسبب ملاحظة أنجيلا التي أصابت وتراً حساساً وأجابت بهدوء:

ـ لا.. لا.. أنا لا يزورني أحد.. ولا شك أنني أبدو مخلوقة مملة بنظر أصدقائك.

لامست أنجيلا يد ماندي احتجاجاً:

ـ أوه.. لا تكوني سخيفة! لكن بما أنك لا تخرجين كثيراً، فستتمتعين بالحفلة حتماً ولو لمجرد التغيير.. أعني أنك لن تضطري إلى البقاء مطولاً إذا كنت لا تريدين. تعالي فقط وتناولي ما يحلو لك ثم تمني لي ولأليوت الحظ السعيد.

تنهدت ماندي: «أوه..».

فهمت أنجيلا ترددها دليلاً على قبولها:

ـ ستأتين إذن؟ بالطبع ستأتين.

لاحت ابتسامتها الدافئة مرة أخرى:

ـ تعالي في الثامنة والنصف.. سيكون هناك طعام إذا كنت جائعة!

دخلت ماندي إلى شقتها واستندت إلى الباب يرافقها شعور بالندم.. كان يجب أن تكون صارمة أكثر.. كان يجب أن ترفض الدعوة فوراً بدلاً من السماح للفتاة الأخرى بالتأثير عليها.. كيف يمكنها الذهاب إلى الحفلة؟ إنها لا تعرف أحداً عدا أنجيلا.. إضافة إلى هذا لن يكون الحاضرون من مستواها، فالخال كالڤن بنفسه ليس لديه سيارة مرسيدس عند باب منزله.

هزت رأسها ودفعت بنفسها عن الباب ثم اتجهت إلى المطبخ حيث أفرغت كيس مشترياتها على رف المغسلة ودفعت عنها بتصميم كل تفكير في نشاطات الأمسية التالية وركزت بدلاً من هذا على تفحص ما اشترته ثم وضعت البقالة بسرعة في الخزانة. بعد ذلك أوصلت غلاية الماء في الكهرباء ووقفت بباب غرفة الجلوس تتأمل ما حولها. كانت الشقة فارغة حين رأتها للمرة الأولى وبدت حينها الغرف أكبر.. لكن الآن بوجود أريكة أمها المريحة المغطاة بالقماش الملون والمقاعد لم يعد هناك مكان للطاولة القابلة للطي التي تتناول طعامها عليها.

دهشت حين تطلعت إلى الساعة ووجدتها قد تجاوزت السادسة. كانت أشعة الشمس المسائية اللطيفة تنعكس على زجاج الساعة الموضوعة

على رف المدفأة. . لا شك أن والدتها تتوقع منها اتصالاً هاتفياً الآن كالعادة. أبعدت عنها التفكير في تحضير العشاء والتقطت سماعة الهاتف.

كانت هذه الاتصالات التي تجريها أسبوعياً إلى نيو كاسل مكلفة جداً، لكنها الطريقة الوحيدة التي تمكنها من البقاء على اتصال مع ساري. . فالرسائل ليست وسيلة كافية للتعبير لفتاة تكاد تبلغ السادسة من عمرها، خاصة أنها تجد صعوبة في تفهم سبب وجوب ابتعاد أمها عنها لتعمل بعيداً. لم يكن يكفي القول إن لا وجود لوظائف مناسبة في نيو كاسل. . فقد أرادت ساري أن تعرف لمَ لا يمكنها مرافقة أمها إذا كانت مضطرة للسكن في لندن؟

ردت السيدة كالور على الهاتف بعد رنة أو رنتين:

ـ آلو. . ماندي؟ هل هذه أنت؟

وسمعت ماندي صوت ساري المحتج بوضوح.

ـ أجل أمي. . هذه أنا. آسفة على تأخري. . كنت أتحدث مع إحدى الفتيات القاطنات فوقي.

ـ حقاً؟ هذا لطيف عزيزتي. . ماندي أحسني تصرفك! لكنك على ما يرام أليس كذلك؟ هل كان أسبوعك جيداً؟

جلست ماندي على طرف الأريكة القريبة:

ـ كان أسبوعاً متعباً. . فلقد غاب السيد كراون عن العمل فاضطررت إلى التعامل مع كل أمر طارىء بنفسي.

ـ حقاً؟ ساري. . ضعي القطة من يدك. . فتاة طيبة. . ! إذن فهم يثقون بك.

ـ ليس بالضرورة. . لكن لا أحد غيري يمكنه القيام بذلك. أعتقد أن ساري تلعب.

ـ أوه. . تعرفين كم هي مشاغبة. . ربما من الأفضل أن أتركها تكلمك. . لن نستطيع التحدث بسلام إلى أن تكلمك.

أحست ماندي بالجفاف في حلقها عند سماع صوت ابنتها. . إنها

تشتاق إلى ساري كثيراً، إلى الجلوس برفقتها والشغب الذي تقوم به. لقد بدأت تشعر بالحاجة إلى شخص يشاركها الشقة. . في منزل أهلها كانت دائماً منشغلة في تنظيف المنزل بعد عبث الطفلة فيه. . وتتذكر أنها كانت تذمر من الأمر. . لكنها الآن على استعداد للترحيب بأي أعمال تنظيف بكل طيبة خاطر.

سألت ابنتها:

ـ هل أنت فتاة طيبة؟ أستطيع سماع ما يجري وتعرفين هذا. . بينما كانت جدتك تتحدث إلي، كنت تزعجينها. . أليس كذلك؟

ـ لا.

وكان ردها بقناعة من لا يندم على ما يفعل.

ـ لكنك كنت تعذبين لاسي، أليس كذلك؟ تعرفين أنها لا تحب أن يحملها أحد.

ـ لاسي سمينة!

وكأن وزن القطة مبرر يسمح بتعذيبها لها، ثم تحول صوتها إلى نبرة دامعة تفطر القلب.

ـ متى ستأتين كي أراك مامي؟ أنا لا أحب البقاء هنا مع جدتي فهي لا تلاعبني مثلك، وأنا لا أحب مشاهدة التلفزيون.

ضمت ماندي شفتيها بشدة تقاوم إحساساً مماثلاً لأحاسيس ابنتها:

ـ أوه. . ساري!

تابعت ساري بإصرار:

ـ ألا يمكن أن أعيش معك؟

عندما طلقها زوجها هايد، خشيت أن يحاول أخذ الطفلة منها. . لكنها الآن فعلت ما أعلنت أنها لن تفعله أبداً. . لقد تركتها بدون أبويها.

قالت تختار كلماتها:

ـ حبيبتي. . يجب أن تذهبي إلى المدرسة. . ويجب أن تعتني بجدتك فهي لا تحب أن تعيش لوحدها في ذلك المنزل الكبير القديم.

أجابت ساري بتمرد: «لن تمانع جدتي..».

ـ بلى.. ستمانع.

ـ .. وأستطيع الذهاب إلى المدرسة في لندن. أليس كذلك؟

ـ وماذا ستفعلين لو عدت من المدرسة ولم أكن في البيت؟ ساري.. تعرفين جيداً أنه لو كان هناك طريقة للبقاء معاً لفعلت هذا.. وتعرفين أنني سأكون عندكم لنحتفل بيوم مولدك بعد أسبوعين.

اعترضت ساري قائلة:

ـ لماذا لا تأتين الليلة؟ إنه يوم الجمعة، ولا تعملين يومي السبت والأحد.. أليس كذلك؟

ـ حسناً.. لا..

ـ لماذا لا إذن؟

تنهدت ماندي تشرح لها:

ـ الأمر مكلف جداً.. حبيبتي.. يكلف القطار من نيو كاسل أكثر مما تستطيع أمك تحمله لتأتي كل أسبوع لتراك.

أخيراً لجأت ساري إلى الدموع كالعادة، فعادت السيدة كالور إلى الكلام:

ـ لا تشغلي بالك ماندي.. بعد خمس دقائق من إعادتي السماعة إلى مكانها ستنسى ساري كل شيء.. ثم إن إدغار ومايف قادمان غداً وهكذا ستلعب مع التوأم.

ـ أجل.

تمنت ماندي لو أنها تحس بالحماس لهذا فتوأما أخيها الصبيان في السابعة من عمرهما، وهي تعرف أن ساري لا تتشوق إلى اللعب معهما.. مع ذلك..

ـ لا تقلقي ماندي.. اسمعي عزيزتي.. يجب أن أنهي المكالمة الآن. على ساري أن تستحم ولم أطعم لاسي و.. و..

قالت ماندي بسخرية منضبطة:

ـ وهذه ليلة الجمعة.. أعرف.. حسن جداً مامي، سأتصل يوم الاثنين كالعادة.

أعادت السماعة إلى مكانها ووجدت أن رغبتها في الذهاب لتحضير ما تأكله قد تلاشت.. كانت غلاية الماء الكهربائية قد انطفأت آلياً أثناء غيابها. دست ماندي وجهها في الوسائد الطرية وهي تشعر بفراغ كبير كما يحدث معها دائماً بعد حديثها مع أمها وابنتها وكان من الصعب ألا تستسلم لرغبة أنانية في البكاء.

لكن الإشفاق على النفس لم يكن أمراً تسمح بأن يتملكها مطولاً.. فوقفت عن الأريكة ودخلت إلى المطبخ لتحضر فنجان شاي وسرعان ما سخنت طبق بيتزا في الفرن ووضعتهما على الصينية ثم حملتهما إلى غرفة الجلوس مجدداً، حيث أكلت البيتزا وأدارت جهاز الراديو.

كان البرنامج الموسيقي الذي اختارته هادئاً، فوضعت الصينية على الأرض ورفعت ساقيها الطويلتين إلى جانبها.. هل قامت حقاً بالأمر الصائب حين اختارت هذه الوظيفة؟ للمرة التي لا عد لها سألت نفسها هذا السؤال وهي تشعر بإحساس سوداوي مألوف يتسلل إلى نفسها.. هل كان بحثها المستمر عن وظيفة مناسبة لأكثر من ثلاث سنوات السبب في قبولها العمل بعيداً عن بلدتها؟ لقد فكر الخال كالڤن وهو شقيق أمها بالأمر عينه.. لقد قال بصراحة حين جاء إلى نيو كاسل لعرض هذه الشقة عليها:

ـ أنت لست فتاة ضعيفة.. ولقد كنت متزوجة لذا لن تقلق والدتك عليك بأن تورطي نفسك في المتاعب إذا فهمت ما أعني.

ولقد فهمت ماندي قصده تماماً لأن كلماته كانت في موضعها، فزواجها وطلاقها من هايد علماها أن تكون حذرة من الجنس الآخر. لكن بما أنها لم يكن لديها النية في خوض أية تجربة عاطفية مجدداً، فقد كان بإمكان الخال أن يهدأ بالاً.. إنها الآن حرّة وتعيل نفسها.. ما من رجل يستحق التضحية بهاتين الحريتين الأساسيتين.

لم يكن يوم السبت يوماً مفضلاً لدى ماندي لأنها تقوم أثناءه بتنظيف

الشقة، أما بالنسبة ليوم الأحد فقد كانت ساعاته تمر ببطء ولطالما عرض عليها الخال كالڤن الذي يسكن في ضاحية ويمبلدون أن تذهب إلى منزله يوم الأحد لتناول الغداء.. لكن ماندي لا تظن أن هذا عادل لزوجته الخالة آنا، فابناهما وزوجاتهما والأولاد غالباً ما يأتون إلى الغداء أيام الآحاد. كانت ماندي قد قبلت دعوتهما في أول نهاية أسبوع لها في لندن وما لبثت أن أحست بأنها غريبة متطفلة. ولم تكرر التجربة أبداً.

بعد ظهر يوم الأحد كانت ماندي تجلس باسترخاء وتشرب فنجان شاي حين سمعت صوت أثاث يتحرك من مكانه في الغرفة التي تقع فوقها تماماً وعرفت أن أنجيلا وأصدقاؤها يستعدون للحفلة فأحست بشيء من الحسد. لقد مضت سنوات منذ حضرت حفلة، فقد أبعدها زواجها من هايد عن كل أصدقائها في الجامعة، وحين انفصلا لم يكن بالإمكان جمع خيوط حياتها الاجتماعية بسهولة وكأن شيئاً لم يحدث، هذا عدا عن أخذ وجود ساري بعين الاعتبار ولقد حاولت جهدها لإبقاء حياتها مستقرة قدر الإمكان.. لكن بعد الطلاق اضطرا إلى بيع المنزل الذي اشترته وزوجها من توفيراتهما وعادت لتعيش مع أمها.

أدركت أن ذكرياتها هذه ستوصلها إلى حالة إحباط فوقفت عن المقعد وحملت فنجانها إلى المطبخ ثم حركت كتفيها المتألمتين وذهبت إلى الحمام الصغير فملأت المغطس بالماء ووضعت الصابون المعطر فيه.

بعد عشر دقائق كانت تغطس بتلذذ في المياه المعطرة. وشعرت بزوال حدة التوتر الذي كان يتملكها فاسترخت متكاسلة وسمحت لأفكارها بأن تنجرف.

ربما يجب أن تذهب إلى الحفلة فهي لا تريد إغضاب أنجيلا لأنها فتاة لطيفة معها وتريدها أن تكون مسرورة. لا شك أن ذلك الشاب.. ما اسمه؟ .. ألبوت.. فرايزر؟ لا شك أنه قادر على إعالتها بالطريقة التي اعتادت عليها.. لا يُتوقع من أنجيلا أن تقوم بأعمالها المنزلية أو أن ترعى أطفالاً إلا إذا رغبت في هذا طبعاً.. تعرف ماندي أن السيدة موركير تزور الشقة

فوق مرتين في الأسبوع لمجرد أن تنظر إلى المكان نظرة سريعة.. وحينما يكون هناك حفلة، كانت تُرى سيارة تقديم الطعام من مطعم فاخر في الخارج.

كانت المياه قد بدأت تبرد في المغطس حين خرجت ماندي منها فجففت نفسها وارتدت روب الحمام الزهري الذي أهدتها إياه أمها.. كان شعرها بحاجة إلى تجفيف فجاءت بالمجفف من الخزانة وجلست أمام مرآة طاولة الزينة.. أزالت المنشفة التي لفتها حول رأسها ونظرت إلى صورتها بقلق. على الأقل لا مشكلة لديها فيما تفعله بشعرها، دست الفرشاة في خصلات شعرها الرطبة الملساء التي يصل طولها إلى كتفيها. وعندما جف انسدلت الأطراف الحريرية بلون القهوة الشقراء على كتفيها.. وأحاطت خصلات لامعة بوجهها البيضاوي وبدا الحاجبان الناعمان المقوسان أكثر سواداً ببضع درجات. تفحصت بشرتها باحثة عن أي شائبة غير ظاهرة وكان عليها الاعتراف بأن جو لندن الملوث لم يتسبب لها بأي أذى. بدت عيناها اللوزيتان خضراوين تحيط بهما رموش يضفي شكلها الممتد على وجهها نظرة مثيرة للاهتمام.. لم تكن جميلة وتعرف هذا، فرغم قوامها الممشوق كان فمها واسعاً وشفتها السفلى ممتلئة كثيراً.

نفضت عنها هذه الأفكار وابتعدت عن المرآة وهي تزفر أنفاسها بتثاقل.. ماذا ستفعل؟ هل تذهب إلى الحفلة؟ أم تمضي ليلة أخرى وسط سلسلة من الاتهامات الذاتية؟ إنها تصبح منطوية جداً، مكتئبة، وكثيرة التفكير ومملة بشكل مؤلم! إنها تسمح لذبول تجربة سيئة مرت بها أن تغير نظرتها كلها إلى الحياة.. حسن جداً، إنها لا تريد أن تتورط مرة أخرى لكنها تستطيع مع ذلك أن تستمتع بحضور حفلة بدون أي ارتباطات.

لاحت مشكلة جديدة في أفقها تتعلق بما سترتديه إلى هذه الحفلة غير الرسمية. أيمكنها ارتداء الجينز أو بنطلون من قماش؟ قررت بعد طول حيرة أن من الأفضل اختيار التنورة.

كانت ملابسها معلقة في خزانة مع مجال للمزيد فهي لم يكن لديها

سبب يدعوها إلى شراء ثياب غالية الثمن وهذا من أفضليات عدم الانخراط في حياة اجتماعية نشيطة.

كانت ترتدي إلى عملها عادة بذلة أو فستاناً مفصلاً وثياباً عادية في مناسبات أخرى. نتيجة لهذا كانت خياراتها محدودة.

تفحصت فستاناً من الكتان الأخضر الناعم، لكنه بدا صيفياً بالنسبة لأمسية من شهر نيسان.. وبذلة قطنية من قطعتين صرفت النظر عنها للأسباب عينها، أما البذلة البنية الفاتحة ذات البنطلون فقد كانت تناسب جواً أبرد من هذه الأمسية.

تنهدت وأخذت في النهاية الشيء الوحيد الذي يمكنها أن ترتديه.. فستان بلون الكريم، أكمامه طويلة، وتنورته تنتهي تحت ركبتيها، مصنوع من الحرير التاهيتي، كانت قد اشترته أثناء حملة تخفيض الأسعار في نيو كاسل في كانون الثاني المنصرم، ولم تتح لها فرصة لارتدائه.. تفحصت ماندي الثوب وعرفت أنه ما تبحث عنه بالضبط فخلعت روب الحمام وارتدته.

لم تدرك قبلاً أن لونه يبرز جمالها، وعضت شفتيها قلقاً لحماسها.. ماذا يهمها من مظهرها الآن؟ هي لن تذهب إلى الحفلة على أمل أن تجذب رجلاً.. مع ذلك فقد كان هناك رضى مؤكد وجدته في معرفتها أنها تبدو في أفضل حالاتها وأنها لا زالت أنثى قادرة على منع أنجيلا من الإشفاق عليها.

تركت شقتها في الثامنة والنصف لتصعد إلى الشقة فوقها وانضمت إلى عدة شبان آخرين متجهين ذات الوجهة لكنهم ليسوا لوحدهم مثلها.. كانوا مجموعات من اثنين أو ثلاثة يضحكون ويتحدثون بألفة الصحبة الطويلة، نظروا بارتياب إلى ماندي ليس بعدائية إنما بدون لطف مميز، ونظر إليها أكثر من شاب باهتمام واضح وببعض الفضول الأمر الذي أقنع ماندي أكثر فأكثر أنها ما كان يجب أن تأتي إلى هذه الحفلة.

تذكرت أن ما ترتديه كان مقبولاً فأحست ببعض الارتياح.. ورغم أن

المطر كان يتساقط في الخارج إلا أن الأمسية لم تكن باردة ووجدت أن أكثر من فتاة ترتدي ثياباً تماثل ما ترتديه.

سرعان ما لاحظت أن الشقة التي تقطنها أنجيلا وصديقتها هي بضعف مساحة شقتها. فعلى عكس الطابق الأرضي المقسوم إلى شقتين، كان الطابق الأول يمتد فوق سطح الاثنتين معاً. وقفت ماندي عند عتبة ردهة مدخل دافئة الإنارة متأثرة بالجو الممزوج بروائح العطور الغالية الثمن ودخان السيكار.

بدأ الشبان الذين رافقتهم في صعودها إلى الشقة يختفون وسط جموع الناس المحتشدين في غرفة الجلوس حيث تصدح أنغام الموسيقى. شعرت بزوجين خلفها يحثانها على الدخول فسارت بدون اندفاع وسرعان ما ابتلعها الزحام.

كانت الغرفة تعج بالناس الجالسين على الأرائك وعلى المقاعد الجلدية المنخفضة والوسائد المرتفعة وحتى على الأرض.. كانت غرفة الجلوس واسعة جداً وكانت ماندي قد سمعت سابقاً عن جدرانها المكسوة بالستائر الحريرية وسقفها المزخرف بإتقان من السيدة موركير، ومع ذلك وجدت صعوبة في تقدير مدى أناقتها.. كان دخان السكائر يشكل غيمة ضبابية ترتفع إلى الأعلى. أين هي أنجيلا؟ استدارت على كعبين كانا أكثر ارتفاعاً مما تستخدمه عادة.. إنها موجودة في مكان ما بلا شك.. لكن أين؟

سأل صوت رجل جذاب قرب أذنها:

ـ هل تبحثين عن شخص محدد.. أم يكفي أنا؟

استدارت ماندي بسرعة غير حذرة لتواجه السائل فعلق كعبها في السجادة السميكة.. ولو لم تتدارك الأمر بسرعة لكانت ألحقت الخزي بنفسها حتماً وأصبحت كومة عند قدميه.

واستطاعت ماندي بجهد تخليص كعب حذائها من السجادة، وقام بدوره بمساعدتها على استعادة توازنها.. ثم، ومع خلاص كعبها، تمكنت من النظر إليه فوجدت لمعاناً مرحاً مسلياً في عينيه الرماديتين الأمر الذي

حملها بسرعة على وضع مسافة بينهما وقالت وهي تحمرّ بشدة:

ـ أنا آسفة.. لقد علق كعبي.

كانت عيناه الرماديتان تنظران إليها بإعجاب صريح:

ـ أعرف هذا.. لكنني أعتقد أنني المسؤول.. فأنا من لفت اهتمامك.

ـ كان أنت..

ـ من كلمك؟ أجل.. أنا.. لقد بدوت.. ضائعة.. وأردت مساعدتك.

وكشفت شفتاه المفترتان عن ابتسامة عن أسنان بيضاء ناصعة.

سألت وقد أعاد لها مرح الموقف رباطة جأشها:

ـ لا أن توقعني على ركبتي؟ حسناً.. شكراً لك على أي حال.. أنا بخير.

ـ أنا سعيد لسماع هذا.

لكنه لم يبتعد كما توقعت.. بل أخذ كوبين من العصير من صينية كان يحملها ساقٍ مار قربهما وأعطاها واحداً.

ـ تفضلي!

أخذت الكوب مترددة.. ونظرت حولها بسرعة لتجد الجموع والموسيقى وضجيج الأصوات لا تزال كما هي فأخذت رشفة من كوب العصير ونظرت إليه خلسة.. كان يراقبها بشكل يثير الإرباك لكن هذا لم يمنعها من ملاحظة مدى جاذبيته مع أنها أشاحت بوجهها عنه بسرعة. شعر أسود أملس أطول من المعتاد، وجه نحيل ضيق البنية العظمية، بشرة لا تزال تحمل آثار سمرة، طول فارع يزيد عنها بكثير بالرغم من كعبيها العاليين.. إنه رجل رائع، لكن عينيه هما اللتان أثارتا اضطرابها فعلاً.. رماديتان، تحيط بهما رموش كثيفة مستقيمة تعطي جاذبية كاملة لوجه وسيم.

سألها بتكاسل: «هل أعجبك؟».

احمر وجهها فركزت على شرابها لتتجنب نظرته.

سألت بحدة لا تكاد تكون مهذبة: «أعجبني ماذا؟».

ـ العصير طبعاً.

ـ لذيذ جداً.

كان الأمر مثيراً للسخط لكنه جعلها تحس وكأنها فتاة مدرسة فاضطرت إلى تذكير نفسها أنها امرأة مطلقة ولديها طفلة عمرها ستة أعوام.

قال:

ـ أنت مختلفة عما كنت أتوقع.

فوجئت بكلامه ورفعت نظرها إليه مجدداً.. فأكمل:

ـ قالت لي آنجي إنك خجولة وعادية، لكنك لست هكذا.. مع أنني أعتقد أن أنثى أخرى لن تلاحظ هذا.

كتمت ماندي أنفاسها:

ـ وهل كانت تبحث أمري مع أصدقائها؟ ألهذا السبب دعتني إلى هنا؟ كي ترضي فضولهم؟

ارتفع صوتها قليلاً وهي تسأل فزفر الرجل أنفاسه بنفاد صبر.

ـ لم أقل هذا.. ولو كنت تعرفين آنجي جيداً لما اتهمتها بهذا.. إنها ليست من هذا الطراز.

سألت ماندي بحرارة:

ـ لكنها قالت لك، ألم تفعل؟

كانت كلماته هذه تأكيداً لأسوأ تخيلاتها، وفكرت كم كانت محقة في ارتيابها من دعوتها إلى هنا، وأكملت:

ـ لو عذرتني..

كانت ضحكته الباردة الإذلال الأخير لها، وكانت على وشك أن ترمي ما تبقى في كوب العصير على وجهه عندما لامست يد أخرى كتفها وقالت أنجيلا:

ـ حبيبي.. لقد التقيت بجارتي.. ماندي.
واستدارت الفتاة نحو الرجل.. وسألت ماندي:
ـ ما رأيك بهذا المحتال الإيرلندي الذي يريدني أن أكون زوجة له؟

* * *

٢ ـ الرجل المشاكس

كان مكتب ماندي ملحقاً بمكتب ستان كراون. لم يكن مكتباً فخماً إنما غرفة تحتوي على طاولة وكرسي وخزانة ملفات وكان عملها فيه يأسر معظم اهتمامها.

منذ سبع سنوات عندما اضطرت إلى التخلي عن فكرة العمل لتنجب ساري، كانت حينها في السنة الثانية من دراسة علم الاجتماع. ولطالما أثارها العمل مع الناس وكانت تنوي أن تحصل على عمل في أحد فروع الخدمات الاجتماعية لكن اقتحام هايد لحياتها تعارض مع كل خططها.. فيما بعد، حين أصبح من الضروري أن تفتش عن عمل وجدت أن مؤهلاتها محدودة. طبعاً، لو كان لديها المال لعادت إلى الجامعة وأكملت دراستها ولكن هذا كان صعباً نظراً لوجود فتاة صغيرة ملزمة بإعالتها.. بدلاً من هذا تقدمت إلى وظيفة مساعدة مدير مؤسسة لتدريب الشبان وإخضاعهم إلى دورات في مسك الدفاتر والمحاسبة والاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة إضافة إلى تقويم مهاراتهم في عدة مهن يدوية. كانت ماندي تعتبر نفسها محظوظة جداً لحصولها على هذه الوظيفة وأحست أنها مدينة لأستاذها السابق في جامعة دورهام لدعمه لها وإيمانه بقدراتها، إذ من غير كتاب التوصية الذي قدمه لها ما كانت لتحصل على هذه الوظيفة.

أحست ماندي بالارتياح لعودة السيد كراون إلى المكتب بعد أسبوع غياب بسبب ألم الظهر الموسمي الذي أصابه وهكذا تمكنت من العودة إلى واجباتها الأصلية وبدأت تعد تقريراً عن عدة مشاكل عالقة يجب أن تبحثها

معه حين تتاح لها الفرصة.

رغم انغماسها في العمل وجدت ماندي صعوبة في التركيز على الأوراق التي أمامها.. صحيح أن عملها ليس صعباً أو معقداً، لكن المسألة ببساطة هي أن تفكيرها استمر في الانجراف بعيداً عما كانت تفعله، ووجدت نفسها مرات عديدة تحدق في الفضاء بعيدة تماماً عما يحيط بها.

كانت ذكرى حفلة مساء السبت هي التي تقلقها، الحفلة التي لم تكن راغبة في حضورها باتت مستقرة بألم في ذاكرتها.. كان مجرد التفكير في ما جرى في غرفة جلوس أنجيلا يجعل وجهها يحمرّ.. ولا زال يذهلها قدرتها على البقاء هناك طويلاً في وقت لم تكن ترغب فيه سوى بالهرب.

كان يجب أن تعتذر حالما سنحت لها فرصة مناسبة، وحتماً كان هذا رأي ليليان بنتلي أو ليلي.. التي لم تشارك زميلتها في حماستها للاختلاط مع جارتهما إذ ابتعدت عنها ببرود أثناء الحفلة وحذت الضيفات الأخريات حذوها فنظرن إلى ماندي نظرة أقل مودة وهكذا تُرك لأنجيلا ومرافقها محاولة جعلها تشعر بالارتياح.

صدمها معرفة أن الرجل الذي كانت تواجهه بحدة خطيب أنجيلا، أليوت فرايزر.. ليس لأنه حرك اهتمامها الشخصي به بل لأن تصرفه نحوها لم يكن تصرف رجل واقع في حب يائس مع خطيبته.. على الأقل ليس حسب خبرتها.. ربما يتصرف هذا النوع من الناس بشكل مختلف أو ربما كان زواجاً دافعه المصلحة.. لكن عند تذكرها نظرات أنجيلا إلى خطيبها، أحست ماندي بقناعة أن أنجيلا تهتم بجنون بالإيرلندي الوسيم.. أما بالنسبة لمشاعره هو فلم تتمكن من اكتشافها..

هزت رأسها لتصرف عنها ذكرى لقائه، وأجبرت نفسها على التركيز على نماذج الطلبات أمامها فهناك متدربون جدد ستبدأ دورتهم في شهر أيلول وستجرى المقابلات معهم في أيار وحزيران لتخفيض العدد إلى ما يقارب العشرين في كل قسم من الأقسام.. كان هذا جزءاً مثيراً من عملها

خاصة وأن السيد كراون قد أبلغها أن رأيه الخاص في متدرب معين أهم بكثير من عدد الشهادات الأكاديمية التي يحملها.

نفخ رئيسها أنفه في منديله قبل أن يجلس مكانه ثم نظر إليها متسائلاً:

- تبدين متعبة.. هل ذهبت إلى بلدتك في العطلة؟

أجابت بأدب:

- إذا كنت تعني نيو كاسل، لا.. أنا.. لم أنم جيداً ليلة أمس.

هز السيد كراون رأسه:

- وأنا كذلك لم أنم جيداً فألم الظهر أمر مزعج. إنه يوقظك من النوم كلما تقلبت في السرير.

ابتسمت:

- أنا آسفة.. لكنك تشعر أفضل حالاً الآن.

قلب الأوراق على مكتبه:

- إنه ألم أستطيع تحمله الآن.. أعتقد أنه في سني هذا يجب أن أتوقع المزيد.. وكوني ممتنة لأن عدم نومك ليس له سبب مؤلم.

- أجل.

- حسناً.. هل لنا أن نبدأ العمل؟

مرر يده على رأسه الأصلع وهو يقرأ التقرير الذي أعدته له.

- هذا جيد.. جيد جداً.. وشامل. كنت أعرف أنك المرأة المناسبة لهذا العمل ما إن وقعت عيناي عليك.

كانت ماندي ممتنة جداً لثقته فيها وكانت بدورها تبذل ما في وسعها لإرضاء كل متطلباته ولتتعلم كيفية معالجة المشاكل في غيابه. وبوجه عام، لم يكن هناك عقبات لم تستطع تجاوزها وعرفت مع نهاية نقاشهما أن السيد كراون راضٍ تماماً على كل ما أنجزته أثناء غيابه.

أصبح مزاج ماندي بعد ظهر ذلك اليوم أقل توتراً. فبعد غداء سريع في قاعة الطعام مع سيبل لونغمان سكرتيرة السيد كراون، عادت ماندي إلى مكتبها مصممة على ألا تضيع المزيد من الوقت في التفكير في تلك

الحفلة.. أبعدت كل تفكير في أنجيلا سيمور كيلر وخطيبها عن رأسها وانكبت على دراسة شهادة تجارة وأخرى للطباعة.

كانت الساعة تقارب السادسة حين وصلت ماندي إلى برايتون هاوس، يصاحبها الارتياح لاكتشافها طريقاً مختصرة توصل إلى المنزل الذي لم تعتد حتى الآن على ضجيج السيارات المارة بمحاذاته طوال ساعات النهار والليل.. كان منزل أمها يقع في ضاحية نيو كاسل، في منطقة هادئة، لذا لم يكن من السهل عليها التأقلم مع هذا الانتقال، ولكنها على الرغم من هذا كانت ممتنة لحصولها على هذه الشقة التي تبعد كثيراً عن مكان عملها وهكذا يمكنها في أيام الصيف أن تذهب سيراً على القدمين فتوفر بذلك أجرة الباص وقد يساعدها هذا التوفير على القيام بزيارات متكررة إلى نيو كاسل لترى ساري.

وهي تسير في الممر القصير الممتد نحو المنزل فاجأتها «اللامبرغيني» وللمرة الأولى رأت أليوت فرايزر وراء مقودها فاستغربت ماندي وجوده المبكر هنا وأحست بانكماش مؤلم في معدتها فهي لا تتذكر أنها رأت السيارة هنا قبل السابعة والنصف أو الثامنة في الماضي.. مع أنها يجب أن تعترف أنها لم تنتبه سابقاً لوجودها إلى أن أشارت أنجيلا إليها.

ما إن وصلت إلى المدخل حتى كان أليوت قد أوقف سيارته الرياضية القوية وقطع الباحة الأمامية منتظراً وصولها.. كان يرتدي بذلة سوداء وقميصاً أبيض فبدا مختلفاً قليلاً عن الشخص الذي قابلته في الحفلة.. وقف واضعاً يديه في جيبيه دونما اكتراث، وبدا مسترخياً واثقاً من نفسه، ولاحظت من طريقة وقفته المتعالية أنه يتوقع منها أن تقف وتكلمه..

قال يسد لها الطريق: «مرحباً.. كيف حالك؟».

رفعت رأسها بدون أن تنظر إليه وأبدت نيتها بوضوح:

ـ أنا بخير.. شكراً لك سيد فرايزر.

واتجهت إلى الباب مضيفة: «أتسمح؟».

نظر إليها بثبات للحظات فأحست بالعينين الرماديتين المزعجتين

تخترقان جفنيها المنخفضين، ثم تنحى جانباً:

ـ بكل سرور.

وتركها تمر وتسبقه إلى المدخل المعتم.

ـ الطقس بارد في الخارج هذه الليلة.. مثلج جداً، أليس كذلك؟

ضمت شفتيها بشدة وكبتت رداً قفز إلى لسانها ثم راحت تبحث في حقيبة يدها عن المفتاح. ليتها فكرت في هذا قبل أن تدخل إلى المبنى، فمن الصعب رؤية ما تفعله بدون نور. عندما وجدت المفتاح أخيراً أفلت من يدها ووقع على الأرض مصدراً صوت رنين قرب قدمي أليوت.. وراقبته بإحساس عاجز ينحني ليلتقطه بحركة رشيقة.

قال متجنباً يدها الممدودة: «اسمحي لي».

وقفت متصلبة وهو يدس المفتاح في ثقب الباب ويدير المقبض ثم أضاف وهو يضعه في كفها الممدود:

ـ ما من مشكلة.

هزت رأسها باحترام قبل دخولها إلى الشقة.

كانت لا تزال مستندة إلى الباب من الداخل وقلبها يخفق بأسرع من عادته حين سمعت قرعاً خفيفاً خلفها فأدركت أنه لا يمكن أن يكون هناك أحد سواه. فكرت أن تتجاهل قرعه لكن لم يكن هناك إمكانية ألا تسمعه، وإن لم ترد عليه ستبدو وكأنها خائفة.

أخذت نفساً عميقاً وجمعت طرفي سترتها معاً ثم استدارت وتعابير وجهها صارمة.. فتحت الباب وبقيت ممسكة بالأكرة وكأنها تخاف أن يحاول الدخول عنوة.

كان أليوت يستند إلى جهة من الجدار لكنه استقام بسرعة عند رؤيتها.

سألت بعصبية: «نعم؟».

ـ هل أستطيع الدخول؟

دهشت وبدا هذا عليها: «أرجو عفوك؟»

ـ قلت: «هل أستطيع الدخول؟ أريد التكلم معك وأفضل ألا أفعل

هذا على مقربة من مسمع السيدة موركير».

مررت لسانها على فمها: «السيدة موركير؟».

هز رأسه إيجاباً:

ـ في أي دقيقة الآن سينفتح بابها، ولو قليلاً.. فما رأيك؟

نظرت ماندي خلفها وهي تعي فجأة التضارب الكبير بين شقتها المتواضعة وفخامة الغرف التي تسكنها خطيبته..

حاولت أن ترد بعدم اكتراث مهذب:

ـ لا أظن هذه فكرة جيدة إذ لا أستطيع التفكير في كلام نقوله لبعضنا سيد فرايزر.. إذا لم تكن أنجيلا في المنزل فأنا آسفة.. لا أعتقد أنك تستطيع انتظارها هنا.

زفر أنفاسه بصوت مرتفع:

ـ لا علمَ لي إن كانت هنا أم لا.. اسمعي، أنا لن أهاجمك أو ما شابه.. أريد ببساطة أن أعتذر إذا كنت تظنين أنني أخرق.

ـ أخرق؟

ـ عندما أخبرتك بما قالته أنجيلا عنك.. وحينما لم أعرفك بنفسي.

ابتسمت فتحتا أنف ماندي قليلاً: «هذا غير مهم».

ـ أعتقد أنه مهم.

اشتدت أصابعها على أكرة الباب المعدنية.

ـ لماذا؟ من غير المحتمل أن نلتقي مرة أخرى.. أليس هكذا؟

ضاقت عيناه:

ـ ولمَ لا؟ إن أنجي تحبك ولقد أخبرتني بهذا.

صمت قليلاً ثم أضاف حين لم ترد:

ـ حسناً.. هذا تقريباً كل ما جئت لأقوله.

تنفست باضطراب وتمتمت: «حقاً؟».

أحست فجأة بخيبة أمل فأردفت:

ـ هل خطيبتك في المنزل؟

ـ أشك في هذا.

مد يده ليخرج مفتاحاً.

ـ المحل لا يقفل أبوابه قبل الساعة السابعة، وهي السادسة الآن.. لكن لا تقلقي.. لدي مفتاح.

ترددت ماندي:

ـ أنا.. كنت ساعد بعض الشاي.

ما الذي دهاها لتعرض عليه تناول الشاي؟ هل تريده أن يحمل معه لصعداً إلى الطابق الأعلى عن الظروف الصعبة التي تعيشها؟ أضافت بسرعة:

ـ أعني.. لا أعتقد.. أنك تشرب الشاي.

رد وعيناه الرماديتان تمازحانها:

ـ أنا لا أعيش على زهر الشجر أو رحيق الأزهار.. شكراً لك، سأحب تناول فنجان شاي عندك آنسة آبكوت.

عليها إذن أن تتراجع لتفسح له المجال للدخول، فعلى عكس الشقة فوق لم يكن هناك ردهة بل يدخل المرء مباشرة إلى غرفة الجلوس.. واشتد احمرار وجه ماندي حرجاً عندما راح أليوت ينظر إلى ما حوله باهتمام ظاهر.

عند إقفال الباب خلفه لم تكلف ماندي نفسها عناء تصحيح تقييمه لحالتها، بل رمت معطفها إلى كرسي وسارت إلى المطبخ تاركة المجال أمامه ليكوّن الفكرة التي يريدها عن الشقة.. إنها ببساطة غير مهتمة برأيه وكلما سارعت في تقديم الشاي له كلما كان أفضل لها، ثم إن أنجيلا قد لا تعجبها هذه المحطة وهو في طريقه ليزورها.

كانت تتفحص محتويات علبة البسكويت عندما وقع ظله عليها وقال:

ـ تعالي واجلسي، فإنك متعبة حتماً.

ـ وهل أبدو لك متعبة؟

نظر إليها بتسامح وأجاب:

ـ أعتقد أنني أقول دائماً التعبير الخاطىء لك.. أليس كذلك؟

مرر إصبعه بتكاسل حول ياقته، وأضاف:

ـ كيف يمكنني الآن إصلاح ما قلته؟ بأن أقول لك إنني كنت أحاول أن أكون مهذباً، أم بالتأكيد أنك تبدين رائعة بنظري؟

أحنت ماندي رأسها:

ـ لا هذا ولا ذاك.. لا يهم.. اذهب واجلس! سأنضم إليك بعد قليل.

ـ حسن جداً..

هز كتفيه بلا مبالاة وتركها، وإلى أن وضعت الحليب في الإبريق الصغير وملأت قصعة السكر ووضعت الفناجين على الصينية، كانت الماء قد غلت. فملأت إبريق الشاي ووضعته على الصينية كذلك ثم حملتها إلى غرفة الجلوس.. أثناء غيابها كان قد فك زري قميصه العلويين وأنزل ربطة عنقه قليلاً تحت الياقة فناسبه مظهره المشعث هذا تماماً.. إنه ينبض بالحياة والجاذبية، إنه رجل من النوع الذي لا يمكن للمرء إلا أن يحس به، جاذبيته التي قد لا يعيها هي تحدٍ بحد ذاتها.

نفضت هذه الأفكار عنها وجلست على مقعد قبالته ثم صبت الشاي، وهي تسأله: «حليب وسكر؟».

هز رأسه ورد بخفة: «بدون شيء».

خمنت أنه يشرب الشاي مع الحامض لكن ليس لديها شيء منه على أي حال.

مع ذلك فقد بدا أنه يستمتع وهو يشرب فنجانه ولم يتردد في قبول واحد آخر.. كان يجب أن تدرك أنه يشعر بالراحة في أي مكان.. إنه يتكيف مع محيطه غير مكترث بمشاعر أحد عدا مشاعره.. إنه يشعرها بأنها غريبة في شقتها الخاصة وكرهت تصرفه هذا بقدر ما كرهت جاذبيته.

سألها فجأة وهو يعيد فنجانه إلى الصينية:

ـ لماذا لا أعجبك آنسة آبكوت؟ هل أخيفك؟ هل الأمر هكذا؟ هل

تخافين الرجال؟ أريد أن أعرف ما الذي فعلته لأثير فيك مثل هذه العدائية؟

وضعت ماندي فنجانها على الطاولة بعناية:

ـ أعتقد أنك تتصور الأشياء سيد فرايزر.

راقبتها عيناه بخبث:

ـ حقاً؟ صحيح أننا لا نعرف بعضنا جيداً، لكنني أستطيع أن أحس بالعداء حين أواجهه.. آنسة آبكوت.

ردت بسرعة:

ـ أنا لست الآنسة آبكوت.. أنا السيدة آبكوت. أنا.. كنت.. متزوجة.

ـ آه!

أثارت تنهيدته الطويلة حنقها فتخلت عن أي محاولة أخرى للتأدب ووقفت:

ـ ليس الأمر ما تفكر فيه.. سيد فرايزر.. أنا لا أخشى الجنس الآخر.. ولا أكره «كل» الرجال.. أو ما شابه.. أنا ببساطة.. ببساطة.. لا أهتم.. لرجال من طرازك.. هذا كل شيء!

سأل بنعومة:

ـ طرازي؟ ربما رجال مثل زوجك السابق؟

مثل هايد! أحست ماندي برغبة هستيرية في الضحك.. ما من شخص أحط من هايد تستطيع أن تتصوره، لكنه مجرد هاوٍ مقارنة مع أليوت فرايزر.. ربما كانت مسؤولة جزئياً عن الرأي المتفاخر لهايد في نفسه فقد أحست بإرضاء لغرورها حين اختارها ساحر قلوب الفتيات المحلي صديقة له، ووقعت في جمال طلعته بدون التساؤل عما قد يكون داخله إلى أن كان الوقت قد فات.

ردت على أليوت فرايزر:

ـ أنت لست كزوجي! وما كان يجب أن ألمح إلى أنك قد تشبهه.

إنه على أي حال ليس مسؤولاً عن خداع زوجها لها، وأحست بخجل

سخيف لأنها فقدت أعصابها.

أحس أليوت بتوترها فوقف يشد ربطة عنقه يقول:

ـ أظن من الأفضل أن أذهب.

استدار حول الطاولة الصغيرة:

ـ شكراً على الشاي.. كان لذيذاً.

ما إن خرج حتى أحست باندفاع لأن تستدعيه ثانية.. جلست على حافة مقعدها ووضعت ذقنها بين يديها ثم راحت تنظر إلى الموقع الذي كان يجلس فيه على الأريكة وهي تفكر بمرارة: يا له من إخفاق تام! لقد جعلت من نفسها بلهاء تماماً.. لم تكن تريده أن يخرج ولديه هذا الانطباع عنها. لا شك أنه سيجد الكثير من التسلية حين يقص ما جرى على أنجيلا وليلي.

لامست الدموع الساخنة أطراف أصابعها فوق خديها، فأعادت لها نوعاً من الارتياح وأقنعت نفسها أن المسألة ليست بتلك الأهمية..

مسحت الدموع وبذلت جهداً كبيراً لجمع شتات نفسها.. ثم وضعت الإبريق وفنجانها على الصينية وحملتها إلى المطبخ.. إنها ليست صديقة لأنجي أو ما شابه.. وسيعلمها هذا أن تكون حذرة منهم أكثر في المستقبل.. إنهم ليسوا مثلها ويجب أن تتذكر هذا.

• • •

٣ ـ قولي أرجوك!

مر أسبوع كامل قبل أن تلتقي ماندي بإحدى جارتيها اللتين تسكنان في الطابق الأعلى مرة أخرى.

كان أسبوعها غير مستقر وزاد في هذا عودتها مساء الثلاثاء من العمل واكتشافها باقة زنبق عاجية اللون وسوسن أزرق ناعم موضوعة على مغسلة المطبخ.

قالت السيدة موركير:

ـ لم أعرف أين أضعها لك.. بدا من المؤسف أن أتركها في الردهة الخارجية.. إنها جميلة جداً.. أليست هكذا؟ واضح أن لديك معجباً سيدة آيكوت.

ابتسمت ماندي لكن أفكارها لم تكن هادئة مثل تعابير وجهها.. عرفت سلفاً أن لا بطاقة ترافق الباقة وهناك شخص واحد فقط حسب تقديرها يمكن أن يكون من أرسلها: أليوت فرايزر!

قالت لزوجة وكيل المنزل:

ـ أنا.. ممتنة لك جداً، سيدة موركير.

ـ اضطررت إلى وضعها في المغسلة.

وتطلعت إلى ما حولها في غرفة الجلوس:

ـ لم أشأ أن أفتش عن مزهرية.. وكان هناك الكثير...

ـ أجل.. شكراً لك.. سأجد ما أضعها فيها.

ـ أستطيع أن أعيرك مزهرية أو ربما اثنتين، إذا احتجت إليهما.

لكن ماندي كانت مصممة على الرفض، وقالت بتأدب:

ـ أنا واثقة أنني سأتدبر الأمر بنفسي.

وأحست أنها شريرة في عدم تركها المجال لإرضاء فضول العجوز.. لكن كيف تقول لها إن خطيب أنجيلا هو الذي أرسل لها الزهور؟ وكيف يجرؤ أليوت فرايزر على وضعها في هذا الموقف الحرج؟

اضطرت السيدة موركير إلى التخلي على مضض عن أسئلتها الفضولية.

ـ حسناً.. إذا كنت واثقة.. أنت فتاة محظوظة! لا بد أنها كلفت من اشتراها مبلغاً كبيراً.

ابتسمت ماندي مجدداً لمجرد تلطيف كلماتها:

ـ أنا واثقة من هذا..

وأغلقت الباب بحزم قبل أن تطلق المرأة تعليقاً آخر.

مع ذلك وفيما كانت تملأ كل قصعة وإبريق وزجاجة حليب تملكها بالزهور الناعمة الرائحة، لم تستطع ماندي سوى أن تنتشق رائحتها العطرة.. لم يكن لديها يوماً هذه الكمية من الأزهار في حياتها.. وكان انطباعها الأولي وجوب إعادة الباقة إلى مرسلها، إلا أنها امتنعت عن ذلك حالما قدرت نتيجة مثل هذا العمل، فأولاً ليس لديها فكرة عن مكان إقامة أليوت فرايزر أو عمله، حتى إن اهتدت إليه فليس بإمكانها أن تخاطر في إحراج أنجيلا التي قد تكون معه حينها. إضافة إلى هذا هناك إمكانية ولو ضئيلة بألا يكون هو الذي أرسلها.. كم ستبدو سخيفة لو أعادت الزهور إليه واتضح أنه لا يعرف شيئاً عنها!

برز أمامها حل واحد أخير.. لكنه حل لم تفكر فيه طويلاً إذ لم ترق لها أبداً فكرة إعادة الأزهار إلى المحل الذي أرسلها لأنها لا يمكنها إرسال مثل هذه الزهور الناعمة إلى الإتلاف الفوري، مع النظر بعين الاعتبار إلى أن أليوت أرسل الأزهار من غير اسم لذا فهو لن يعرف أبداً بأمر إعادتها.

شعرت بالرضى وهي تقنع نفسها بهذه الفكرة واكتشفت أنها تتمتع

كثيراً باللون الذي تضفيه الأزهار على غرفة الجلوس المكتئبة، ووجدت نفسها تراقب وجودها الحي كل يوم بعد عودتها من عملها الشاق إلى شقتها، وحين بدأت أخيراً في الذبول اشترت بعض الأزهار لنفسها لتعوض عن خسارتها.

تحدثت مع ساري مرة أخرى عبر الهاتف ووعدتها بأن الأيام الفاصلة عن يوم مولدها ستمر بسرعة.

ـ سأصل في قطار السادسة مساء الجمعة القادم. أنا أتطلع شوقاً إلى حضوري..

كانت نهاية الأسبوع بدون أحداث، واعتقدت أن أنجيلا وصديقتها ليستا في الشقة إذ لم يصدر أي صوت عن شقتهما طوال يومي السبت والأحد.. أمضت ماندي الوقت بطلاء مطبخها محاولة بتصميم تجنب المقارنة بين هذا الأسبوع والأسبوع المنصرم.

تواجهت مساء الاثنين وجهاً لوجه مع أنجيلا في ردهة المدخل.. كانت الفتاة في طريقها إلى الخروج عندما وصلت ماندي حاملة باقة أزهار في يدها فقالت أنجيلا بلهفة:

ـ ما أجملها! أحب أزهار الربيع كثيراً، ألا تحبينها أنت؟ بالطبع تحبينها.. لقد قالت لي السيدة موركير إن شخصاً أرسل لك باقة كبيرة منها!

كتمت ماندي أنفاسها.. كان يجب أن تدرك أن السيدة موركير تنقل الأقاويل إلى جميع سكان المنزل وليس إليها وحدها وحسب.. قالت:

ـ أوه.. أجل. كنت محظوظة.. لقد أرسلها صديق لي في العمل..

سألت نفسها بنفاد صبر: لماذا تقول هذا؟ من في المؤسسة قد يرسل لها شيئاً؟ وكيف تتأكد أن أليوت لم يفضِ بكرمه إلى أنجيلا؟

قالت أنجيلا:

ـ أحب تلقي الأزهار كثيراً.. يرسل أليوت لي الورود دائماً فهو يعرف أنني أحبها.

رطبت ماندي شفتيها: «أنت محظوظة جداً».

تنهدت أنجيلا برضى:

ـ أجل.. أنا محظوظة. هل رأيت خاتم الخطوبة؟

مدت لها يدها: «أليس رائعاً؟».

وكان رائعاً بالفعل.. حجر زفير مربع يحيط به حبات من الألماس ويلمع حتى في ضوء الردهة القاتم، وقالت ماندي بتوتر:

ـ إنه جميل.. متى.. متى ستتزوجان؟ أم لم تقررا بعد؟

ـ في شهر كانون الأول.. كما أعتقد.. أليوت مرتبط بعمل كثير، وآمل أن يكون شهر عسلنا في ليلة رأس السنة.

ـ يا له من أمر رائع!

أصبحت لهجة ماندي زائفة الآن لكن أنجيلا لم تلاحظ، وأجابت ترفع كتفيها:

ـ أجل.. أليس كذلك؟ لكن يكفي كلاماً عني الآن.. أنا لم أركِ منذ الحفلة.. هل استمتعت بها؟

ابتلعت ماندي ريقها:

ـ أوه.. كانت.. ممتعة جداً.. أنا آسفة، كان يجب أن أتصل بك.. لكن المشاغل كثيرة.

هزت أنجيلا رأسها:

ـ لا تفكري في هذا.. كل ما أملت به ألا تكوني غضبت من الطريقة التي تصرفت بها ليلي.. إنها أحياناً باردة ومتعالية.. وكانت ذلك المساء في مثل هذا المزاج، لكنها في الواقع فاتنة حين تتعرفين إليها جيداً.

تنحنحت ماندي:

ـ أنا واثقة من هذا.. حقاً.. ليس الأمر مهماً.. كانت ليلتك أنت على أي حال.

ـ ما رأيك بأليوت؟ لقد تحدثت معه أليس كذلك؟ أوليس رائعاً؟

أفلتت الأزهار فجأة من يد ماندي فانحنت بارتباك لتلتقطها وبقي

سؤال أنجيلا بدون رد إذ قالت:

ـ يجب أن أذهب الآن.. سأقابل والدي بعد ربع ساعة.. ولن يكون مسروراً إن تأخرت.. وداعاً.

ـ وداعاً.

ابتسمت ماندي لها، لكن بعد ذهاب أنجيلا أحست بموجة إرهاق تجتاحها وبدت لها السنوات الخمس التي مرت منذ كانت صغيرة حيوية مثل أنجيلا بعيدة جداً.. لكن هل كانت يوماً صغيرة مثلها؟

جاء يوم الثلاثاء بسيل من الأحداث في المؤسسة.. فقد تعثرت السكرتيرة سيبل لونغمان على السلم ذلك الصباح ولوت معصمها وهذا ما منعها من القيام بأية طباعة.. وارن غراندولف، الناظر، آلم ظهره وهو ينقل بعض الصناديق في المخزن.. أما السيد كراون فقد مُزق بنطلونه في طريقه إلى العمل، ونتيجة لهذا لم يصل قبل الحادية عشرة.

عند حلول وقت الغداء أحست ماندي وكأنها قامت بعمل يوم كامل.. كان هناك رسائل معينة يجب الاهتمام بها، ونظراً لإعاقة سيبل اضطرت ماندي إلى تولي الطباعة بنفسها، ولم يكن الأمر سهلاً عليها.. ووجدت أن آلة سيبل الحديثة معقدة وغير مألوفة لها.

عند حلول وقت الغداء قررت ماندي ألا تتناول السلطة في قاعة الطعام نظراً لاضطرارها إلى الذهاب للتسوق. ارتدت سترة بذلتها الرمادية الداكنة وركضت مسرعة نحو أشعة الشمس الشاحبة التي تغمر «أدجويرود».

كان منظر السيارة الرياضية السوداء المتوقفة دونما اكتراث على الخط الأصفر في الخارج كافياً لأن يجفلها قبل أن تتعرف إلى الرجل الواقف مستنداً بعفوية إلى مقدمتها.

قال وهو ينظر إليها:

ـ مرحباً.. كنت أنتظرك.

أخذت نفساً عميقاً واستدارت تواجهه: «حقاً؟ لماذا؟».

انقلبت تعابير وجهه إلى الاكتئاب: «ولماذا في رأيك؟».

ـ لا أستطيع أن أتكهن.. فعلاً.. لكنني سأكون ممتنة إن اختصرت الشرح.. ليس لدي وقت كثير.

سألها بحدة:

ـ لكنك تتناولين الغداء.. أليس كذلك؟ لقد بدأت أتساءل.

ـ ماذا تعني؟

وأجبرت نفسها على التفكير في أنجيلا وما قد يعنيه هذا لها.

نظر إلى الشارع متفحصاً:

ـ أعني أنني انتظرت يوم أمس بدون جدوى.

فغرت فاها بدهشة:

ـ انتظرت بالأمس؟

ـ هذا ما قلته.

هزت رأسها:

ـ أنا أتناول الغداء عادة في قاعة الطعام.

قال ساخراً:

ـ حقاً؟ كان يجب أن أفكر في هذا.

قاومت لتستعيد عدم اكتراثها:

ـ لست أرى سبباً.. أتعرف أنك تقف في مكان ممنوع؟

ـ بما أنني حصلت على محضري مخالفة بالأمس، فأنا أعرف هذا، ماندي..

ـ إذن يجب أن أحذرك.. هناك دورية شرطة مرور قادمة وأظن من الأفضل أن تحرك سيارتك سيد فرايزر.. إلا إذا كنت تتمتع بالمساهمة في دعم بلدية لندن الكبرى.

شد أليوت على فمه وقاس بسرعة المسافة التي تفصل الشرطة عن سيارته.

ـ هل تتناولين الغداء معي؟

لكن ماندي رفضت طلبه: «لا أستطيع».

فاستدار وعاد مسرعاً إلى اللامبرغيني.

كان هناك رواق يحوي عدة متاجر اعتادت ماندي أن تتسوق ما تريده منه، اتجهت إليه وهي تقاوم الاندفاع بأن تنظر خلفها لترى ما إذا كان أليوت قد نجح في تفادي محضر مخالفة أخرى.. كان قلبها لا زال يخفق بشدة بسبب السرعة التي حاولت فيها وضع أكبر مسافة بينها وبين أليوت.. وقفت لعدة دقائق تتفرج على واجهة بائع كتب ومجلات بدون أن ترى شيئاً في الواقع.

سألت نفسها أكثر من مرة: لماذا يفعل هذا؟ إنه أمر غير معقول إذ لديه خطيبة جميلة تهتم به، وإذا كان راغباً في العبث فلا شك أن لديه فرصاً عديدة مع الكثير من الفتيات، فلماذا يختارها هي؟ إذا كان يسعى للمغامرة فلماذا لا يجد لنفسه فتاة من طبقته يرضي بها غروره؟ أم أن السبب يتعلق بكونها مختلفة؟ ربما يظنها سهلة المنال أو من غير المحتمل أن تعترض كثيراً طالما أنه يعوضها بطريقة أخرى مثل... باقة أزهار.. كانت ترتجف بشدة وأدركت أنها لم تشتر شيئاً مما جاءت لشرائه، ووجدت صعوبة في دفع قدمها أمام الأخرى لذا قررت التخلي عن فكرة التسوق والعودة إلى العمل.

ـ هل أنت على ما يرام؟

أجفلها صوت الرجل اللطيف خلفها مما جعلها ترتجف قليلاً:

ـ أنا.. أوه.. أجل، أنا بخير.

للحظات ظنته أليوت وهي لا تشعر بالقدرة على مواجهته الآن. كان من الواضح أن المسن قلق عليها:

ـ هل أنت واثقة؟

حاولت ماندي استجماع قواها لتطمئنه وابتسمت:

ـ لا بد أنني جائعة.

ثم علقت أنفاسها في حلقها وهي ترى طيفاً نحيلاً أسود يتقدم

نحوهما.. كان يجب أن تعرف أن أليوت لن يستسلم بسهولة.. وتساءلت ما إذا كانت تجرؤ على طلب الحماية من الرجل المسن الواقف إلى جانبها، لكن الظروف لم تكن تسمح لها بتوريط شخص آخر.

وصل أليوت إليهما وراحت عيناه الرماديتان تتفحصان وجه ماندي بقلق ظاهر.. فسألها: «ما بك؟».

وقف بجانبها فاستدار إليه العجوز بارتياح ليقول وكأنه وجد فيه الشخص الذي سيريحه من مسؤوليتها:

ـ تشعر السيدة الشابة بقليل من الإغماء.. تقول إنها جائعة.. يجب أن تتأكد من أنها ستتناول غداءها حالاً.

ـ سأفعل هذا.. آسف لتأخري ماندي.. لاقيت صعوبة في إيقاف السيارة.

ارتجف فك ماندي بمزيج من الإحباط والوهن، لكن حين حثها لتتحرك لم يكن لديها خيار آخر.. إنها متعبة جائعة وقد سلبها الجهد الذي بذلته في مواجهته معظم قدرتها على المقاومة.

صاحت بقلق:

ـ لماذا تفعل هذا؟ أنت تعرف أنه قد يرانا أحدهم.. ثم ألا يعني لك شيئاً كوني لا أريد تناول الغداء معك؟

رد بعجرفة قاسية:

ـ لو كنت أعتقد هذا لما جئت إلى هنا. أقترح أن نجد..

قاطعته محتجة:

ـ لا! لا.. لن أذهب معك! لست أدري من أين واتتك فكرة أنني سأحب تناول الغداء معك، لكنك مخطىء.. صدقني! والآن، أرجوك ابتعد عني وتوقف عن إزعاجي!

ـ ماندي..

ـ سيدة آبكوت.

ـ حسناً.. سيدة آبكوت.. هل تنكرين أنك لست في حالة مناسبة لأن

أركك لوحدك؟

قاطعته: «هذا بسببك».

أحنى رأسه بأدب:

ـ إذا قلت هذا.. مع ذلك سأكون نذلاً حقيراً إن تركتك الآن. لذا اقترح أن نجد مكاناً تجلسين فيه وسأشتري لك شراباً وسندويشاً أو ما يلزم لإعادة بعض اللون إلى وجهك.

تنهدت ماندي: «وإذا رآنا أحد؟».

التوت شفتا أليوت:

ـ وهل تخجلين من رؤية أحد لك معي؟

ـ أنت تعرف ما أعني!

ـ شخص أعرفه؟

ـ أجل.

ـ وماذا في هذا..؟ أنا سأشتري لك ما تشربينه.. فأين الضرر في هذا؟

أين الضرر حقاً؟ لحقت به على مضض إلى داخل مطعم صغير واتجهت إلى طاولة منزوية آملة ألا يعرفها أحد، ولكونها قادمة جديدة إلى المطعم فقد لاحظت أنها أثارت الكثير من الاهتمام بين الحضور الذكور.

كانت الطاولات محجوزة بأجمعها، لكن تلك التي في الزاوية كانت بمقعدين خاليين. جلست ماندي على المقعد البارد مع بعض الارتياح، كانت ممتنة لفرصة الجلوس واستعادة سيطرتها على نفسها.. ستكون هذه حتماً فرصة لتُظهر له أنه يضيع وقته في ملاحقتها!

جاء أليوت بكوبين من المرطبات فرفعت يدها لتريه مكان جلوسها.. تقدم حاملاً الكوبين في إحدى يديه وسندويشين من اللحم والسلطة في اليد الأخرى.

كالعادة، بدا مرتاحاً وكأنه في بيته حتى وإن كان ما يحيط به غير مألوف. رشف قليلاً من الكوب الذي جاء به لنفسه من دون أن يعي أن

هناك فتاة تجلس قبالته نقلت اهتمامها من صديقها إليه.

واجهها قائلاً:

ـ أنت شاحبة.

كبتت أنفاسها وشربت من محتويات كوبها. أخذت رشفة أخرى قبل أن تتفحص سندويشها فقال أليوت:

ـ ليس لديهم سوى شرائح اللحم والسلطة.. وأرجو أن تعجبك.

لم ترد ماندي عليه بل قضمت السندويش وراحت تنظر إلى عيني الشابة قبالتها بثقة أكبر بالنفس.. على أي حال لا يمكن لومها على تحديقها بأليوت.. إنه جميل الطلعة ولا تلومها إن كانت تتساءل عما يفعله مع امرأة مثلها.

ـ هل لا بأس به؟

ردت ماندي بأدب:

ـ أجل.. شكراً لك.

لم تنهِ ماندي سندويشها، كان هذا مستحيلاً أمام نظرات أليوت والفتاة الجالسة قبالتها، وترك أليوت نصف سندويشه كذلك. وبدون طلب الإذن منها حمل الكوبين وذهب إلى طاولة التقديم ثم عاد بكوبين مماثلين وبعينين تتحديانها أن ترفض.

ارتاحت ماندي عند مغادرة الشاب والفتاة قبالتهما بعد دقائق وبقي مكانهما فارغاً.. ثم أخذ الجمع في المطعم يخف مع عودة الناس إلى أعمالهم.. نظرت ماندي إلى ساعتها وراعها أن تكتشف أنها تكاد تبلغ الواحدة والنصف.

قالت بعد أن شربت ما تبقى من كوبها:

ـ يجب أن أذهب. حقاً.. يجب أن أكون في المكتب في الثانية إلا ربعاً.

ـ ستكونين هناك.. لا أعتقد أنه من المجدي طلب أن تغيبي بعد الظهر، أليس كذلك؟ أنت صادقة وضميرك حي.

أحست بضيق في أنفاسها: «سيد فرايزر..».

ـ أليوت.

ـ سيد فرايزر.. أعتقد أن هذا الحديث امتد إلى أكثر مما ينبغي.

التوت شفتاه بسخرية:

ـ حقاً؟ حسناً.. أعتقد أنك قد تكونين محقة.. لكن هذا لا يحل مشكلتي.

ـ لا أظن أن لديك مشكلة سيد فرايزر.. أرجوك.. أريد الخروج الآن.

ـ وإذا لم أسمح لك؟

ـ سأصرخ.

ـ وهل تفعلين هذا حقاً؟ ألن يكون هذا كفعل ما تحاولين تجنبه؟ جذب الاهتمام إلينا؟

ـ أرجوك..

ـ قولي أرجوك أليوت.

رددت بصوت منخفض متوتر: «أرجوك.. أليوت!».

ـ حسن جداً.

خرج بحركة سريعة من على المقعد وتمكنت بدورها من رفع نفسها ثم سارت أمامه بسرعة إلى الخارج.

قال أليوت:

ـ سأرافقك حتى المؤسسة.

سار معها بالرغم من احتجاجها وقال:

ـ أخبريني ما هو عملك في هذه المؤسسة؟ لقد تناولنا الغداء معاً ولم أعرف شيئاً عنك.

ردت بانزعاج:

ـ أنا واثقة أن هذا لن يثير اهتمامك.

ـ لو لم أكن مهتماً لما سألت.. إنه ليس من أسرار الدولة، هل هو

هكذا؟ أنت لست عميلة في مشروع سري؟

أحست بدافع للضحك لفكرة أن يكون السيد كراون متورطاً في عملية سرية أو جاسوسية.

- إنه أمر بعيد الاحتمال.. في الواقع أنا أعمل مساعدة لمدير المؤسسة.. وهو عمل مثير ويعجبني.

رفع أليوت رأسه:

- لكنك لست من لندن.. أليس كذلك؟

- لا.. ألم تخبرك خطيبتك؟ لقد جئت من الشمال، من نيو كاسل.. وأعيش في لندن منذ شهرين فقط.

- وهل يعجبك المقام؟

- لقد قلت لك إنني أحب عملي.. أما ما تبقى.. فأنا أشتاق إلى عائلتي فقط.

وصلا إلى المؤسسة فتوقفت واستدارت تودعه، قالت وكأنها تتلو كلمات حفظتها في الذاكرة:

- شكراً لك على الغداء.

دس يديه في جيبي بنطلونه:

- أريد رؤيتك مرة أخرى.

تقدم خطوة فأحست بتوتر.

- لا تقولي لي أي كلام سخيف حول أن هذا ليس فكرة جيدة.. أو ماذا ستقول أنجيلا، قولي فقط «نعم» للمرة الأولى في حياتك من دون موازنة الصواب والخطأ.

- لا أستطيع..

- أوه.. حباً بالله!

كررت مترددة: «لا أستطيع».

كان من الصعب جداً رفض طلبه لكن المنطق انتصر في النهاية.. فقالت متصلبة:

- اسمع.. أدرك أنك على الأرجح معتاد على وقوع النساء تحت قدميك.. لكنني لست هكذا.. ليس في نيتي أن أوفر لك تجربة من نوع جديد أو لأي شخص آخر.. وإذا كنت تريد تجربة «عابرة» فما عليك سوى التفتيش عنها في مكان آخر!

* * *

٤ ـ خطأ!

كانت مكاتب اتحاد فرايزر للتأمينات والاستثمار تقع في ساحة هادئة من شارع ستراند.. حين اشترى جد ألبوت الشركة عم ١٩٢٠، كانت عبارة عن طابقين من مبنى سكني قديم قرب «كنغ كروس». وفيما ركز معظم المضاربين على سوق القطع والأسهم، انصرف هيلار فرايزر إلى شراء الأملاك موظفاً أموال زبائنه في حجارة صلبة بقيت صامدة حتى بعد انهيار «وال ستريت» أو شارع المال وترك أكثر المستثمرين مفلسين.

ونمت أعماله وتوسعت.. في الخمسينات تابع والد ألبوت مسيرة أبيه وتطلع إلى ما وراء البحار بحثاً عن مشاريع يستكشفها.. والآن يمتلك أفراد أسرة فرايزر أسهماً في مناجم الألماس في أفريقيا، ويمتلكون أيضاً آبار نفط في ألاسكا، مزارع ماشية في أميركا الجنوبية، شركة نقل جوية وأسطول ناقلات نفط.. وقد أنتجت مصانعهم الكيميائية أنواعاً جديدة من السماد.. في الواقع يشارك اتحاد فرايزر في معظم نشاطات التقدم التكنولوجي، ومجلس إدارتهم فريق شامل من المحاسبين، العلماء، المهندسين، والخبراء في علم الإحصاء الذين يُصنفُ ألبوت فرايزر منهم.

عندما تقاعد والده في الستين من عمره منذ ثلاث سنوات مضت أصبح ألبوت رئيس مجلس الإدارة وكان لا يزال شاباً في الثلاثين لكن في السنوات الثلاث الماضية أكد ألبوت على الثقة التي وضعها والده فيه وهو الآن في الثالثة والثلاثين ومعروف بين أكثرية رجال الأعمال والاستثمار.. لطالما اهتم ألبوت بعلم الحساب ولقد حصل على درجة عالية في الاقتصاد

من جامعة أوكسفورد.. إضافة إلى كل هذا، كان يمضي جزءاً من كل سنة في زيارة مواقع العمل التابعة للشركة في الخارج وكانت معرفته الدقيقة بتفاصيل كل مشروع تجعله خصماً مهيباً.

مكتب ألبوت هو المكتب الذي شغله والده وجده من قبل وكان في الطابق الأخير من المبنى ويطل على أرض لمشروع حديقة جديدة..

نظر ألبوت بنفاد صبر إلى ساعته الذهبية في معصمه.. كم الساعة الآن؟ واشتد ضغطه على فمه حين رأى أنها لا تزال الرابعة والنصف وأن هناك ساعة ونصف قبل أن تصل أنجيلا كما قالت، كي يذهبا إلى «سوهكس» معاً.. تسعون دقيقة أخرى قبل الانطلاق لقضاء عطلة الأسبوع مع أبويها في الريف.

زفر ألبوت نفسه متثاقلاً.. إنه لا يتشوق إلى نهاية عطلة الأسبوع هذه مع أسرة سيمور كيلر وهذه ليست غلطتهم ولا غلطة أنجيلا.. إنه لا يشعر بتوافق مع نفسه، وفكرة قضاء نهاية أسبوع وهو يبدي الأدب مع أنجيلا وأهلها ملأته بالبؤس.

ترك النافذة وعاد إلى مكتبه يقلب الأوراق التي تتطلب دراسة مركزة منه بدون اكتراث.. لديه عمل يقوم به لكنه يشعر بشكل غريب بنقص في قدرته على التركيز، وللمرة الأولى في حياته يفقد الاهتمام بكل شيء.. إنه ضجر ولا يهتم، الطاقة الفكرية التي لا تهدأ لديه أصبحت تفتقد الآن إلى التوجيه الطبيعي.

لم يكن هناك سبب منطقي لعدم رضاه وهو يعترف بهذا الآن.. وأخذ ينقر بأصابعه فوق منضدته.. ليس هناك أي أزمة في الشركة ولا مشاكل خاصة عليه التعامل معها.. حتى أن حياته الخاصة هي كما يتمناها.. أنجيلا فتاة جميلة وعلاقتهما مرضية تماماً.. فما هو الشيء الخاطىء؟

مع تفكيره في أنجيلا عاود التطلع إلى ساعته فوجد أنها لا زالت الرابعة والنصف وخمس دقائق.. خمس وثمانون دقيقة على الانطلاق.. ربما يحتاج إلى ما يشربه.. ربما سيساعده القليل من القهوة المرّة على

رفع الغمامة الكئيبة المسيطرة عليه.

صب لنفسه فنجان قهوة وحمله إلى منضدته ثم جلس متثاقلاً على مقعده الجلدي ورفع قدميه فوق المنضدة.. أحس بدفء القهوة القوية السوداء وهي تجد طريقها إلى معدته.. وقرر أن يطلب من كاربنتر أن يوصله إلى «فايف أوكس» فهو يشعر أنه متعب، وهناك وقت طويل قبل وصول أنجيلا.

أنجيلا..

فكر أليوت بخطيبته وهو يتفرس في السائل الأسود في فنجانه.. لقد عرف الكثير من النساء قبل أن يتعرف إليها لكنها الأولى التي يطلب يدها فقد بدت له مناسبة تماماً لتكون زوجة رجل في مثل مركزه، وبما أنه في الثالثة والثلاثين وأبواه متشوقان لأن ينجب لهما حفيداً، لم يعترض على تشجيعهما الإيجابي.

إضافة إلى كل هذا فإن أنجيلا جميلة وهي ترضي غروره بنفسه، ولو أنه يجد حديثها أحياناً مملاً إلا أنه لا اختلاف في هذا عن زوجات أصدقائه فهو لا يريد الزواج بامرأة أعمال.. إذن لماذا يشعر بهذا الإحباط المريع؟

وتوصل إلى الرد الذي تعمد تجنبه حتى الآن: ماندي آبكوت!

لم يكن هناك سبب وجيه لانزعاجه من تصرفها نحوه إلى هذا الحد.. لكنه منزعج! أصبح منذ يوم الثلاثاء مكتئباً يفكر فيما حدث أثناء الغداء، وفي ردة فعلها العدائية على دعوته الودية وهي ما أصاب فيه وتراً حساساً.

في العادة، لم يكن أليوت رجلاً عنيفاً بل العكس، فهو معروف بمرحه وشخصيته الساحرة وتفكيره الدقيق بوجه عام. إنه رجل هادئ الطباع معتاد على إخفاء مشاعره الداخلية حتى في وجه استفزاز منطرف.. لكن ماندي آبكوت أثرت على أعصابه وكان لها قدرة على تحريك المشاعر التي لم يكن يعرف أنه يمتلكها، ومن المثير للقلق معرفته أنه لا يستطيع السيطرة دائماً على مشاعره هذه عندما يكون معها.

أراد يومها أن يلحق بها إلى المؤسسة حيث تعمل وكاد الغضب

الشديد الذي تملكه بسبب ردها المهين يتغلب على تعقله الطبيعي، وأثناء عودته إلى شقته كان يسلي نفسه بتخيل صور زملائها وهم ينظرون بعجز بينما أصابعه تخنق عنقها وتنتزع الحياة منها.

منذ ذلك الوقت صمم على أن يُبعد كل تفكير فيها من رأسه ونجح في هذا تقريباً.. لكن المشكلة الآن معرفته أنها لا زالت موجودة سواء أكان هذا في وعيه الكامل أم في عقله الباطن.. صورتها هي التي تثقل على دماغه وتشله عن التفكير في نهاية الأسبوع القادم.

رشف ما تبقى من قهوة في فنجانه ثم أنزل قدميه إلى الأرض ليقف.. إنه لا يكترث بشيء! سيراها لآخر مرة وسيقول لها ما يظنه بها. إنه يدرك أن عزلتها أثارت تعاطفه وجعلته يشعر بالأسى عليها.. وبعيداً عن إعجابه بشكلها، حاول التواصل مع دماغها لمعرفة ما يقلقها.. وإذا كانت قد أساءت فهم نواياه الطيبة فهو يشفق عليها.

وضع فنجانه الفارغ على الطاولة وتقدم إلى الباب الذي يوصل إلى مكتب سكرتيرته.

ـ أنا خارج لمدة ساعة سيدة وينسدال وسأعود قبل السادسة.

سألت السيدة وينسدال بدهشة:

ـ لكن ألا تتوقع مجيء الآنسة سيمور؟

ـ بلى.. لكن ليس قبل السادسة.. وكما قلت سأكون هنا قبل هذا.. ارتاحي سيدة وينسدايل.. كل شيء على ما يرام.

ـ وهل وقعت تلك الرسائل؟

ـ لقد وقعت كل ما هو مهم.. وبإمكانك الخروج ما إن تصبحي جاهزة.. ستجد أنجيلا طريقها بنفسها إلى مكتبي.

ـ أجل.. سيد فرايزر.

لم يكن لدى أليوت وقت لمراعاة مشاعر السيدة وينسدايل التي كانت أصلاً سكرتيرة أبيه فلديه فقط ساعة من الزمن ليقطع لندن ويكلم ماندي ثم يعود، وهذا لن يكون أمراً سهلاً في مثل هذه الساعة من زحام بعد ظهر يوم

الجمعة.

ساعده الحظ على الوصول إلى كليفتون غايت في وقت قياسي. وكانت الساعة الخامسة والربع عندما سار في الممر الداخلي لبرايتون هاوس.. كان يعرف أن المؤسسة التي تعمل ماندي فيها تقفل أبوابها في الرابعة والنصف أيام الجمعة.. وأخذ بالحسبان زحام السير، إذن يجب أن تكون في المنزل الآن. كان بابها أول باب إلى اليسار، وبدون إعطاء نفسه فرصة للتفكير مرة أخرى تقدم وقرع عليه بحزم.

كان يشعر بالتوتر وهو يقف بانتظار أن تفتح له وعلى الرغم من ذلك برز إلى رأسه صورة قسماتها الشاحبة وطاف تفكيره فيها وكأنه ينظر إلى صورة أمامه. استطاع رؤية تفاصيل عينيها اللوزيتين وفمها العنيد كما كانت تبدو آخر مرة شاهدها فيها.. لها فم جميل، وعندما تبتسم ينير وجهها بأكمله ويصبح لون عينيها أخضر بدلاً من اللون اللوزي.

سأل صوت مألوف من خلفه:

ـ هل تسأل عن السيدة آبكوت؟

سيطر على نفاد صبره واستدار ليواجه زوجة الوكيل التي أضافت:

ـ أوه.. سيد فرايزر.. هذا أنت.. الآنسة سيمور ليست هنا.

دس أصابعه في جيبي معطفه:

ـ أعرف.. أريد رؤية السيدة آبكوت.. هل هي هنا؟

ردت السيدة موركير بسرعة:

ـ أوه.. لقد سافرت!

صدمه ردها للحظة ظناً منه أنها تعني إلى الأبد.

ـ سافرت؟

هزت المرأة رأسها:

ـ ستلحق بقطار السادسة.. سافرت لقضاء عطلة الأسبوع في بلدتها.. في نيوكاسل.. قالت إنها ستعود ليلة الأحد إذا كان هذا سيساعدك.

سحب أصابعه من جيبه وهو يشعر بالراحة الكبيرة والاسترخاء لكلماتها. كانت هذه تجربة غريبة عليه يحتاج إلى استعادة توازنه بعدها.. لكنه قبلاً يتوجب عليه إقناع السيدة موركير بأنه ممتن لتعاونها.

مرر لسانه على شفتيه:

ـ حسناً.. شكراً لك.. لم يكن الأمر مهماً.

ـ أتريدني أن أبلغها رسالة؟ أنا واثقة أنها ستأسف لعدم رؤيتك فهي لا تتلقى الكثير من الزوار.. تعرف هذا.

ـ كما قلت سيدة موركير.. ليس الأمر مهماً. لدي رسالة لها من أنجيلا.. لكن بما أنها ليست هنا لم يعد الأمر مهماً.

ـ أوه.. فهمت.

تساءل ماذا سيقول لأنجيلا.. وهز رأسه مودعاً ثم اتجه إلى سيارته.. الآن وقد برزت السيدة موركير إلى الصورة فمن المحتمل أن تقول شيئاً.. وراح يقلب أفكاره باحثاً عما سيقوله وهو يعود إلى مكتبه.

* * *

جاءت السيدة كالدر بساري إلى المحطة لملاقاة القطار، وبالرغم من الساعة المتأخرة كانت الصغيرة تقفز إثارة حين دخلت أمها عبر الحواجز وانحنت لتحتضن ابنتها الصغيرة بين ذراعيها.

دفنت وجهها المبلل بالدموع في كتف ابنتها وقالت بحنان:

ـ مرحباً يا كنزي.. ما أروع العودة! هل كنت فتاة طيبة مع جدتك؟

قالت السيدة كالدر:

ـ كانت جيدة كالذهب منذ يوم الثلاثاء.

وقبلت ابنتها بدورها وهي تمسح لها الدموع عن وجهها.

ـ كل ما سمعته منها هو كم يوم بقي حتى يوم الجمعة، وما هي الهدية التي ستشتريها لها ليوم مولدها.

سبّب ذكر أمها العفوي ليوم الثلاثاء وخز ضمير مؤقت لماندي لكنها

صرفت النظر عنه بسرعة.. لن تسمح لأليوت فرايزر بأن يفسد عطلتها الأسبوعية.. وركزت اهتمامها على وصف ساري لكعكة الحفلة.

- ستقيم حفلة.. خالي إدغار والخالة مايف وبوب وتيدي قادمون لشرب الشاي غداً.. وتقول جدتي إنني أستطيع دعوة ثلاثة من صديقاتي من المدرسة.

نظرت ماندي إلى أمها شاكرة ثم ردت على ابنتها:

- عظيم.. هذا كل ما أحتاج إليه.. أرى أنني سأقضي يومين من دون راحة.

لكن في الواقع مرت نهاية الأسبوع بتباطؤ وأحست ماندي أنها في المدة القصيرة التي ابتعدت فيها عن هذا المنزل فقدت التكيف مع حياة أمها في «غوزفورس».

صباح السبت، بدأت ساري تفتح هداياها وكانت ماندي قد اشترت لها لعبة تقلد معظم حركات الطفل الحقيقي، لكن بالرغم من اهتمام ساري بقدرتها على شرب زجاجة حليبها وتبليل حفاضها، إلا أنها أمضت وقتاً أطول تلعب باللعبة الإلكترونية التي اشترتها لها جدتها.

بعد ذلك اختفت ساري في الحديقة لتلهو وخرجت الجدة إلى موعدها عند مصففة الشعر فبقيت ماندي وحدها في المنزل لما تبقى من فترة الصباح. عندما كانت في شقتها في لندن، كانت تتشوق لأن تكون هنا بين الناس والأماكن التي تعرفها جيداً. والآن ورغم وجودها الفعلي هنا إلا أنها تشعر بعدم الارتياح في غرفتها القديمة التي كانت دائماً ملاذها الآمن.. ووجدت نفسها تشتاق إلى ضجيج السير المتواصل على الطريق القريب من شقتها والإحساس بمدينة لا تنام أبداً.. لكن لا شيء مثير في كل هذا وهي خيالية وسخيفة في ربط قلقها بلندن.. كيف تفكر بهذه الطريقة وهي لطالما كرهت الإقامة هناك؟

جلست على حافة سريرها ورفعت ساقاً نحيلة إلى فوق لتسند ذقنها إلى ركبتها.. المشكلة أنها كانت تشعر بقلق شديد منذ يوم الثلاثاء

الماضي، ومهما حاولت تبرير تصرفاتها فهي لم تستطع تجاوز واقع أن أليوت اشترى لها الغداء وردت له معروفه بإهانته.. أوه.. يمكنها أن تجد عشرة أسباب لتبرير فظاظتها فهو لا يحق له أن يرسل لها الأزهار، ولا سبب يدعوه لأن يفترض أنها قد ترغب بعد معرفة قصيرة جداً في تناول الغداء معه أو العشاء.. لكن لم تنجح كل هذه الأعذار في إراحة ضميرها.. لقد تصرفت وكأنها فتاة صغيرة محتشمة تواجه بعدوانية أول موعد لها مع رجل بدلاً من أن تتصرف كامرأة ناضجة وتتقبل صداقته بطريقة مماثلة.

وصل شقيق ماندي وزوجته بعد الظهر ولكن حفلة الشاي التي تلت لم تترك أي وقت للحديث والسؤال، فقد كان توأما أدغار يتركان آثار الفوضى أينما ذهبا.. وأحست ماندي بالإرهاق في الوقت الذي غادروا فيه إلى منزلهم.

لكن مايف زوجة أخيها، وجدت فرصة وهما تغسلان الصحون لتسألها ما إذا كانت تستمتع بالعمل في لندن.. وقالت:

- إنني أحسدك فعلاً. أتمنى لو كان لي عذر لترك التوأمين عند أمك والرحيل إلى مكان جديد! أحياناً أظن أنني سأجن إذا لم يجد أدغار طريقة لضبط تصرفات تيدي!

- لكنه مجرد صبي صغير.

ومع أن ماندي لم يرق لها تلميح زوجة شقيقها إلى أنها تركت ساري عند أمها، إلا أنها أردفت:

- أعتقد أنه سيهدأ وهو يكبر.. كان أدغار يتصرف مثله في صغره.

- حقاً؟ ليس هذا ما يقوله.. إنه يلوم عائلتي على اندفاع تيدي الفوضوي، لكنني أخبرته أن لا أحد في عائلتنا يتصرف كقطاع الطرق عندما يكون لدينا زوار. لكنه لا يصغي إليّ.. إنه فعلاً يكاد يسلبني عقلي!

قررت ماندي أن مثل هذا الحديث سيؤدي إلى مواضيع ليس من حقها أن تخوض فيها فغيرت الموضوع:

ـ يعجبني فستانك.. هل هو جديد؟ إنه يناسبك.

ردت بدون حماس:

ـ اشتريته من البلدة.. أعتقد أن ثمة فساتين كثيرة مثله في لندن.

كان يوم الأحد هو الأسوأ.. فمع أن ماندي كانت تعرف أنها لن ترغب في الرحيل عندما يحين الوقت، إلا أن الصباح بدا وكأنه لن ينتهي.. ذهبت أمها إلى البلدة وأخذت ساري معها. وكان يجب على ماندي مرافقتهما إلا أنها لم تكن تشعر برغبة في ذلك.. إضافة إلى هذا، على أحدهم أن يحضر غداء يوم الأحد.

وضبت ماندي حقيبتها بعد الظهر وطلبت سيارة أجرة لتوصلها إلى المحطة لتلحق بقطار الخامسة.. وقالت لأمها بلطف:

ـ أفضل ألا تأتي معي أمي.. سيكون هذا أسهل بالنسبة لساري..

لكن ساري كانت تنظر إلى الأمور بطريقة مختلفة:

ـ أريد أن أذهب إلى المحطة.. أحب الذهاب إلى هناك. أحب رؤية القطارات.

قالت ماندي بتعاسة:

ـ ليس هناك قطارات كثيرة يوم الأحد.

وضمت الصغيرة إلى حجرها.

ـ أوه لا تبكي حبيبتي.. تعرفين أن على أمك أن تعود.

ـ متى أستطيع الذهاب إلى لندن؟ أريد أن أرى مكان إقامتك، قلت لي إنني أستطيع المجيء.

ـ في العطلة القادمة.. ستحضرك جدتك بعد شهر ويمكنكما البقاء هناك حتى نهاية الأسبوع، ولسوف أريك حينها مبنى البرلمان وقصر باكنغهام حيث تعيش الملكة.

ـ حقاً؟

دست ساري إصبعها في فمها وهي تنظر إلى أمها بارتياب، فأبعدته ماندي عن فمها:

ـ أجل.. حقاً.. ما رأيك بمساعدتي في صنع سندويشات آكلها في القطار؟ لن أتمكن من البقاء حتى وقت الشاي.

فيما بعد وأثناء خروج القطار من محطة نيوكاسل اضطرت ماندي إلى إجبار نفسها لئلا تذرف أية دموع.. لكنها لم تكن دموعاً لأجل ساري بل لأجلها هي.. فساري لديها جدتها لتعتني بها.. أما هي فتشعر أنها وحيدة.

كانت الساعة تقارب العاشرة عندما وصل القطار إلى محطة «كنغزكروس» فقد طالت الرحلة التي تستغرق عادة ثلاث ساعات بسبب إصلاحات تجري على الخطوط الحديدية.

وإلى أن وصل القطار إلى لندن كانت ماندي تحس ببؤس مرير. سحبت حقيبتها عن الرف متمنية للمرة الأولى لو أنها اختارت مشاركة شقة مع امرأة أخرى.

حتى أنجيلا سيمور كلير تتشارك الشقة مع ليلي بنتلي.. وأخذت تفكر لا إرادياً بجارتيها وتتساءل عما كانتا تفعلانه في نهاية هذا الأسبوع.. بالتأكيد لن تمضيا خمس ساعات من التكاسل في قطار محوّل عن خطه، فأناس مثل أنجيلا وليلي وأليوت كذلك يسافرون إلى أي مكان في سيارة أو طائرة.

كان هناك مفتش ينتظر استلام البطاقات أثناء مرور الركاب أمام الحاجز.. أعطته ماندي تذكرتها ثم وضعت حقيبتها على الأرض لتتمكن من وضع حمالة الحقيبة فوق كتفها وحمل الأخرى الأثقل وزناً بيدها الثانية.

وهي تفعل هذا أحست أن شخصاً ما يراقبها فرفعت رأسها بإحباط آملة ألا تضطر إلى صرف معجب غير مرغوب فيه عنها، فبعد التوتر الذي مرت به خلال الخمس ساعات المنصرمة، كانت تحس بالتعب وبدأت وخزات الصداع تهاجم صدغيها.

ـ ألبوت!

كان استخدامها لاسمه الأول باندفاع من دون وعي.

كان أليوت ينتظرها.. وعرفت من وقفته أنه موجود هنا منذ مدة طويلة.. وتأكد لها هذا من الطريقة المتصلبة التي رافقته وهو يدنو منها.. لم يكن مبتسماً، قسماته القاتمة متجهمة في قناع مبهم، وعندما انحنى ليحمل حقيبتها عنها كانت مصدومة أكثر من أن تمنعه.

قال وهو يومئ برأسه إلى المخرج الجانبي:

ـ السيارة متوقفة هناك.. تبدين متجمدة برداً.. هل هذا صحيح؟ أم أن السبب هو غبطتك لرؤيتي؟

* * *

استجمعت ماندي رباطة جأشها وسارعت خلفه وهي تلاحظ كم تناسب السترة الجلدية البنية كتفيه، مع كنزة صوفية ناعمة تحتها بلون بني مناسب وبنطلون جينز.. لم تفكر في الجدال معه في تلك اللحظات لأنها اعتبرت أن انتظاره لوصولها هو الأمر الأهم الآن وسيكون لديها الكثير من الوقت فيما بعد للتساؤل.

وضع أليوت حقيبتها في صندوق السيارة وفتح لها الباب: «ادخلي».

أطاعت.. أقفل لها الباب ثم استدار حول السيارة ليصعد وراء المقود لكنه لم يشغّل محرك السيارة فوراً بل التفت إليها:

ـ لقد تأخر القطار. سألت وقالوا إنهم يتوقعون وصوله في التاسعة.

ـ أجل.. تمّ تحويله عن خطه بسبب تصليحات للخط الحديدي. أنا آسفة.. هل.. انتظرت طويلاً؟

ـ منذ التاسعة. لا تبدو عليك الدهشة لرؤيتي؟

هزت رأسها:

ـ أوه بلى.. الأمر فقط.. أنت هنا.. وأنا ممتنة.. كنت أشعر بتعب رهيب حين نزلت من القطار.

ـ والآن؟

بدت عيناها سوداوين في الظل ورفعت كتفيها:

ـ الآن.. أنا.. مسرورة لمجيئك.

أدارت وجهها عنه وهي تضيف:

ـ أنا.. أردت الاعتذار منك على أي حال.. بسبب.. بسبب ما قلته لك يوم الثلاثاء.

ـ حقاً..؟

وسمعت صوت تنفسه الحاد ثم:

ـ حسناً.. ما كنت ستشعرين هكذا لو أنني وجدتك في المنزل بعد ظهر يوم الجمعة.

ـ ماذا تعني؟

اندفعت خصلات شعر ماندي إلى الأمام وهي تدير رأسها لتنظر إليه.

ـ جئت إلى الشقة لأمزقك إرباً. لسوء الحظ قابلتني السيدة موركير وأخبرتني أنك سافرت لقضاء عطلة الأسبوع فاضطررت إلى ابتداع قصة حول إيصالي رسالة لك من أنجيلا.

تصلبت ماندي مع اتضاح الأمور.

ـ هكذا إذن.. لهذا أنت هنا.

لقد جاء ليس لأنه يريد مقابلتها، بل لأنه لا يريد تركها تكذّب ما ستقوله لها السيدة موركير.

منعت شهقة بكاء كادت تصل إلى حلقها ومدت يدها إلى مقبض الباب.. إنها لا تحتاج إلى تحذير شخصي.. يكفيه أن يتصل بها هاتفياً فقط فهي لا تريد جرح مشاعر أنجيلا.. والآن تريد الابتعاد عن هذه السيارة وعنه قبل أن تجعل من نفسها حمقاء أكثر من هذا.

قال أليوت بصوت أجش:

ـ أنت مجنونة! أتظنين أنني سأقف هنا في هذا الطقس البارد لمجرد أن أطلب منك التستر على قصتي؟

اندفع متابعاً:

ـ أوه.. ماندي.. أنت لا تعرفيني جيداً حتى الآن. أليس كذلك؟ لكنك ستعرفينني! صدقيني ستعرفينني!

ـ أنت قلت.. قلت إنك تنتظرني منذ التاسعة.

تنهد أليوت قائلاً:

ـ أنا لم أقل إنني كنت أنتظر منذ التاسعة فأنا هنا منذ السابعة والنصف لأنني لم أكن أعرف في أي قطار أنت.. وهكذا انتظرت.

هزت رأسها:

ـ لكنك.. قلت إنك.. كنت غاضباً مني.

ـ كان هذا يوم الجمعة وقد غيرت رأيي منذ ذلك الوقت، لقد التقيت يومها بالعجوز المتسلطة وأبلغتني أنك سافرت.

ـ السيدة موركير؟

هز رأسه إيجاباً ثم أكمل: «هي ذاتها».

ـ ألن توصلني إلى البيت؟

ـ في النهاية أجل. لكننا أولاً سنتناول بعض الطعام.. تبدين نصف جائعة ونصف متجمدة..

أدار محرك السيارة فقالت:

ـ لا أظن أننا يجب أن نفعل هذا.

ـ كنت أتوقع هذا الاحتجاج منك.. اسمعي، يمكننا أن نتمتع بما تبقى من الأمسية معاً. سنتناولين العشاء معي، اقبلي بهذا. سمه.. تعويضاً إذا أحببت، لأجل مثابرتي.

طوال الطريق، ظلت ماندي تكرر لنفسها أنها يجب أن تكون متشددة أكثر ويجب أن تطالب أليوت بأخذها إلى منزلها فوراً أو أن ينزلها كي تستقل الباص.. من الغباء إقناع نفسها بأنه يحاول مصادقتها، فالأصدقاء لا ينغمسون في لعبة كالتي نفذها أليوت في المحطة وليس لديها طريقة لمعرفة أي نوع من الرجال هو.. قد يكون عابثاً، فما أدراها؟ ثم إن

معاملته لأنجيلا باحترام لا تعني أنه يعامل كل النساء هكذا.. وإن اختفت من الوجود الآن فمن سيعرف ما هو مصيرها؟ ستكون مجرد شخص مفقود آخر.. واحدة من المئات الذين يختفون في لندن كل سنة.

هزت رأسها إحباطاً... لم تكن تؤمن حقاً بأن أليوت يشكل خطراً من هذا النوع، لكنها تعرف أن ما يفعلانه خاطىء أخلاقياً ومعنوياً، وهي الملامة على هذا.

كان دخول السيارة المفاجىء إلى كهف مظلم كافياً لدفع كل الأفكار من رأسها.. وعندما أدركت أن هذا المكان هو موقف سيارات تحت الأرض ارتاحت قليلاً، لكن تحية الحارس المهذبة أعادت القلق إليها.. أين هما الآن؟ نظرت إلى أليوت لترى أنه أطفأ المحرك وقال:

ـ حسن جداً.. فلنذهب.

فتح بابه فنظرت ماندي إليه باستغراب:

ـ نذهب؟ إلى أين؟

ـ لتناول العشاء طبعاً.. هيا.. أتريدين التسبب بفضيحة؟ يعرفني الحارس جيداً ولا أريد أن أكذره.

ترددت: «سيد فرايزر..».

ـ اسمي أليوت، ولقد استخدمته قبل الآن.

سمحت له بمساعدتها على الخروج من مقعدها لاقتناعها أنه سيكسر الباب إذا لم تستجب له، والسبب الآخر كما قال إن الحارس كان يراقبها.

قالت متصلبة: «لقد أحرجتني».

نظر إليها متفحصاً:

ـ لا داعي للقلق، أتسمحين؟ لن آخذك إلى غرفة تعذيب!

دخلت معه إلى المصعد ووقفت بعيدة عنه قدر استطاعتها، استخدم أليوت مفتاحاً قرب الأزرار وسجل الطابق الثاني والعشرين فافترضت أنه يأخذها إلى مطعم هناك.. لكن حين انفتحت الأبواب لم تجد سوى ردهة مفروشة بالسجاد وباب خشبي أبيض في انتظارها.

دفعها لتخرج وأغلق المصعد خلفهما ثم أخرج مفاتيحه فسألت:

ـ هل هذه.. هذه..

ـ.. شقتي.

دس بطاقة معدنية في ثقب تحت مقبض الباب فانزلق المفتاح في مكانه ثم انفتح الباب.. سحب أليوت المفتاح قبل أن يحث ماندي على الدخول، ورغم سخطها تغلب الفضول عليها.

كان أول ما لفت نظرها في ضوء المدخل الخفيف ثريا ضخمة معلقة في السقف إنما ليست مضاءة، ولاحظت ماندي أن الإضاءة الموجودة تنبعث من مكان خفي فوق الإفريز الذي يعلو الجدران ليزينها. كانت حبات الكريستال المثلثة الزوايا تتأرجح برقة مصدرة رنيناً ناعماً مع تدفق الهواء من الخارج.

على أي حال لم يكن لديها وقت لتتفحص ما تبقى من محتويات الردهة.. ألقت نظرة على الطاولة اللماعة من الخشب الأسود والمرآة الأثرية فوقها قبل أن يحثها أليوت على المرور بعدة أبواب لتصل في النهاية إلى غرفة مضاءة بعدد من المصابيح.. كانت الأرائك الضخمة المذهبة المخمل تشكل واحة راحة في غرفة مصممة خصيصاً للارتياح، وكان كل ما في الغرفة ينم عن أسلوب وذوق رفيع.

نظرت ماندي إلى الجدار المخصص للكتب التي بدت مرصوفة بدون عناية إلى جانب كتب عادية ومجلات، ثم وقع نظرها على رفوف من الزجاج الملون وُضعت عليها مجموعة من المنحوتات.. أما الجدار المقابل فقد كان مؤلفاً من أبواب زجاجية ترتفع من الأرض حتى السقف وقد غطيت بستائر طويلة.

سألها أليوت بنعومة: «جائعة؟».

التفتت إليه بارتباك:

ـ هذه.. لك؟ أنت.. تعيش.. هنا؟

ـ عندما أكون في المدينة.

أخذ منها سترتها يضعها على ظهر كرسي ثم خلع سترته:

ـ سألتك إذا كنت جائعة. لا بد أن تكون تيريسا قد تركت وجبة طعام في غرفة الطعام.

ابتلعت ماندي ريقها: «تيريسا؟».

ـ مدبرة منزلي.. تعالي.. دعينا ندخل لنرى ما تركته لنا.

رطبت شفتيها:

ـ أين.. أين تسكن حين لا تكون في المدينة؟

تنهد أليوت:

ـ لدي منزل في أوكسفورد شاير.. سأريك إياه في يوم آخر.. والآن.. هل ستأكل أم نبقى واقفين نتكلم؟

أحست بوجوده قربها فتحركت بسرعة بعيداً عنه.

ـ أين.. أين هي غرفة الطعام؟

قادها إلى غرفة ذات نوافذ زجاجية تطل على أنوار لندن تحتها فيما الجدران الأخرى مكسوة بخشب مماثل لخشب طاولة مستطيلة لماعة تتسع لاستضافة عشرين شخصاً على الأقل بمقاعدها الخشبية.

كانت الوجبة التي أشار إليها موضوعة على أحد أطراف الطاولة، مكونة من «السلمون» المدخّن والسلطة، سندويشات شرائح لحم مع الأناناس والزيتون.. أطباق من مختلف أنواع الجبن والكافيار إضافة إلى طبق من سلطة الفاكهة يحتوي على عدة أنواع طازجة.

قال أليوت:

ـ تفضلي، اخدمي نفسك بنفسك.

وأضاف بعد قليل:

ـ حسناً.. ماذا تحبين؟ فأنت كما يبدو لست مستعدة لتخدمي نفسك لذا سأضطر إلى تقديم الطعام لك بيدي.

وضع ملعقة كافيار فوق بسكويتة وقدمها لها:

ـ تذوقيها.. إنها لذيذة.. ثم قولي لي ما تفضلين.

كان الكاڤيار لذيذاً مالحاً وله طعم غريب.. وأدركت ماندي أن هذه التجربة الجديدة ستزيد من اتساع الهوة بينها وبين أليوت.. هوة لن تستطيع تجاوزها أبداً.

قال: «جربي السلمون المدخن».

وأعطاها ملء شوكة لتتذوقها:

ـ هل أعجبك؟

أحست بضعف في ركبتيها عندما استقرت عيناه بثبات على عينيها، فوقفت بحذر:

ـ يجب أن أذهب.. حقاً.. لست جائعة جداً ثم إن الوقت متأخر جداً.

رد بلهجة إقناع:

ـ لم تبلغ الساعة الحادية عشرة حتى الآن.

ـ لكنني مضطرة إلى الذهاب إلى العمل غداً.

ـ وأنا كذلك.

هزت رأسها: «وهل لديك عمل؟».

ابتسم:

ـ أنا لست ذلك الفتى العابث إذا كنت تظنينني هكذا.

أخذت نفساً عميقاً: «مع ذلك..».

ـ مع ذلك.. ماذا؟ فلنعد إلى غرفة الجلوس.. سنتناول المزيد ثم آخذك بعدها إلى منزلك.

ـ حقاً؟

نظرت إليه بارتياب فتجهم وجهه:

ـ إذا كان هذا ما تريدينه، هيا.. تعالي! ستهتم تيريسا بالمائدة غداً.

ـ وأين.. هي تيريسا؟

ـ أعتقد أنها في سريرها.. إنها عادة تدخل إلى غرفتها بعد العاشرة.

عضت على شفتها:

ـ أتعني.. أنها تسكن هنا؟

ـ غرفتها في الجهة الأخرى من المطبخ.. لديها شقة صغيرة تكفيها ومصعد خاص بها.. لمَ لا تجلسين؟

سألت وهي تجلس على حافة الأريكة:

ـ هل.. هي شابة.. عجوز.. أم ماذا؟

ولفت يديها حول كوبها وكأنها تحميه.

ـ إنها امرأة في الخامسة والخمسين، ألمانية الأصل، جاءت إلى إيرلندا بعد الحرب وعملت في منزلنا بدون أن تتقاضى أجراً، ولم تعد ترغب في العودة.. وهذه آخر كلمة سأقولها عن تيريسا.. هل هذا واضح؟ لم آت بك إلى هنا لإجراء نقاش بخصوص مدبرة منزلي!

ضمت شفتيها: «ولماذا جئت بي إلى هنا؟».

ـ تعرفين لماذا.. لتناول العشاء.

ـ هذا.. كل شيء؟

ـ هذا عائد إليك.

ـ ماذا تعني؟

ـ وماذا تظنين أنني أعني؟

دفع نفسه ليقف ثم وضع كوبه على الطاولة.

ـ لأجل الله.. توقفي عن النظر إليّ هكذا وكأنني أحاول إغواءك! لن أفعل هذا.. ليس إلا إذا أردتني أن أفعله.. بالطبع.

لم تدر ماندي ما الذي جعلها تنطق بسؤالها التالي:

ـ وهل ترغب في هذا؟

حدجتها عيناه الرماديتان بنظرة أعطت وجهه تعبير ضعف غريب، وقال صادقاً: «أجل».

تحركت مشاعر مماثلة في أعماقها، فهبت واقفة وهي تصيح: «أنت مجنون!».

لكن حين مد يده يأخذ كوبها لم تستطع إنكار الإحساس المؤلم الذي

سرى في عروقها . . وقال: «اجلسي».

أطاعته وجلست فوق الأريكة بثقل هزّ الوسائد . . وكبتت أنفاسها عند رؤية ابتسامته المتكاسلة . . ثم سأل:

ـ ماذا تحاولين أن تفعلي؟ أن تكسري الأريكة؟

فتمتمت:

ـ أشعر أنني غبية.

ـ لا تبدين غبية.

وبمجرد أن جلس بقربها أثار في داخلها أحاسيس جعلتها متوترة.

همست باحتجاج أخير:

ـ أليوت . . يجب أن أذهب.

تجاهل ما قالته إذ كانت عيناه مسمّرتين على وجهها.

كانت نظرات إليوت إليها تحرك في داخلها مشاعر عميقة . . وبالرغم من أنها امرأة ناضجة ومطلقة، إلا أنها أحست وكأنها مراهقة برفقة خبير.

لم تستطع فهم ما يجري لها . . لقد تزوجت هايد وأنجبا طفلة . . مع ذلك عرفت الآن أنه لم يلامس أبداً مشاعرها العميقة . . أربكها تذكرها المفاجيء لوجود ابنتها وجعلها تعود إلى الواقع، فمهما كان ما تشعر به الآن، إلا أن نوايا أليوت لا تختلف عما نواه هايد سابقاً نحوها . . مع هايد كان كل شيء زائفاً، لكن الأمر مختلف مع أليوت، فهي لم تعد تلك الفتاة الصغيرة. إنها الآن امرأة، وهذا بالضبط السبب الذي يدفعها إلى الابتعاد عنه . . على الأقل، كان هايد راغباً في الزواج بها . . أما أليوت فلا يريد سوى التسلية والتغيير.

قالت بشراسة: «دعني أذهب!»

ـ لا.

قالت مكررة بصوت أجش:

ـ لا . . أليوت! أريد الذهاب إلى منزلي.

أخذ نفساً عميقاً، ثم قال يناقشها بلطف:

ـ أنت تريدينني بقدر ما أريدك . . لا تقولي لا . . فأنا لن أصدقك.

تنهدت وقالت بشفتين مرتعشتين:

ـ حسن جداً . . حسن جداً . . أنا فعلاً . . أريدك. لكن . . لكن، ليس حسب شروطك.

ضاقت عيناه:

ـ وأية شروط هي؟

ـ تجاهل وجود خطيبتك!

تراجع أليوت وأسند نفسه على يديه فيما اشتد ضغطه على فمه:

ـ بالنسبة لأنجي . . فما لا تعرفه لن يؤلمها مطلقاً.

انكمشت ماندي لكلماته:

ـ وهل هذا هو المهم؟ ألا تعرف أنجيلا؟

ـ لا . . أنا لا أقول إن هذا صواب . .

عدلت جلستها لتصبح عيناها بمستوى عينيه:

ـ ماذا تقول إذن؟ إنك لا تستطيع منع نفسك؟

قال يذهلها برده: «شيء من هذا».

ثم أشاح بوجهه:

ـ حسن جداً . . سأعيدك إلى المنزل . . أعطني دقيقة لأستجمع شتات نفسي.

ترددت ماندي قليلاً، ثم قالت وهي تنظر إليه بارتياب:

ـ هل أنت بخير؟

ضحك بقسوة: «أوه . . تماماً!».

هزت رأسها: «أنت لا تفهم».

ـ بل أظنني أفهم.

ـ أنا لست عابثة.

ـ وهل قلت إنك هكذا؟

ـ لا . . لكن . .

أحنت رأسها:

ـ . . ألمحت إلى هذا . . ليس ذنبي إن كنت لا أشبه النساء الأخريات اللواتي تعاملت معهن . .

ـ مهلك . . ! أية نساء أخريات؟

ـ حسناً . . أنا أفترض . .

ـ افتراضك خاطىء إذن . . أليس كذلك؟ وعلى عكس ما تعتقدين، لقد احترمت التزاماتي حتى الآن.

وقفت ماندي:

ـ إذن لمَ . . لمَ أنا؟

وقف وقد تجهم وجهه:

ـ كنت أسأل نفسي هذا منذ أسبوعين.

مد يده إلى سترته وارتداها، ثم رمى لها سترتها واستدار نحو الباب:

ـ تعالي . . دعينا نذهب قبل أن أغير رأيي!

أطبق الصمت الأليم عليهما أثناء نزولهما في المصعد، وتعمدت ماندي أن تبقي عينيها مشاحتان عنه ليقينها أنها ستفضح مشاعرها إن نظرت إليه . . إنها خائفة من تأثيره القوي عليها ولن يكون من السهل عليها أبداً أن تبعده عن تفكيرها.

سرعان ما التهمت اللامبرغيني المسافة الممتدة بين شقة أليوت والشقة الڤيكتورية الطراز التي تسكنها. كانت شوارع المدينة خالية تقريباً . . ظنت ماندي أنه سينزلها عند البوابة وامتدت يدها باحتجاج حين استدار إلى الممر الداخلي لبرايتون هاوس، وقالت بلهفة:

ـ لا تفعل . . قد يتعرف أحد على سيارتك، إنها . . ملفتة للنظر . . أليست هكذا؟

ـ لا يمكنك السير إلى هناك لوحدك في مثل هذا الوقت.

تنهدت ثم دعته بنعومة:

ـ سر معي إذن . . مع أنني لا أعتقد أنه سيهاجمني أحدهم.

لم يرد أليوت بل نظر إليها نظرة غامضة قبل أن يخرج من السيارة ويحضر حقيبتها من الصندوق . .

في الواقع، سرت ماندي بقراره مرافقتها. فقد كان منظر المنزل المنزوي والشجيرات الشائكة التي تحيط بطريقه الداخلية مخيفاً قليلاً في الظلام . . كان الباب الخارجي الذي يبقى عادة مفتوحاً خلال النهار مقفلاً، فاضطرت إلى استخدام مفتاحها ثم استدارت لتأخذ حقيبتها من أليوت متمتمة: «شكراً».

وضع الحقيبة الكبيرة على الأرض ورد بتوتر:

ـ من دواعي سروري.

ـ إنه وداع إذن.

هز رأسه ورد عليها:

ـ تصبحين على خير.

راقب تعابير وجهها المتغيرة . . ثم تأوه بنفاد صبر وأحنى رأسه:

ـ سأتصل بك . . نامي جيداً.

ولوى شفتيه مردفاً:

ـ . . إذا استطعت . . فأنا لن أنام!

* * *

٥ ـ ما أصعب الانتظار!

التفت أليوت عند سماعه رنة صوت خطيبته الحاد:

ـ أليوت.. ! هل أنت مصغٍ إلي؟

أكد لها بهدوء وهو يبتعدُ عن نافذة مكتبه ويجلس على مقعده وراء المنضدة:

ـ أجل.. أنا أصغي. كنت تقولين إن أنيتا لن تستطيع السفر إلى باريس لأنها تتوقع طفلاً.

صاحت أنجيلا:

ـ حسناً.. بإمكانك التظاهر ببعض التعاطف.

هز كتفيه:

ـ ارسلي شخصاً آخر إلى باريس، ماذا عن ليلي؟

تقدمت أنجيلا إلى المنضدة ووضعت أطراف أصابعها الحمراء عليها.

ـ ليلي لن تذهب.. تعرف أنها تكره الطيران والسفر لوحدها.. لا، إنها خارج السؤال.

ـ إذن ما هو البديل؟

ـ أن أذهب بنفسي كما أعتقد.

ـ حُلت المشكلة إذن.

ـ لا.. لم تحل.. هل تأتي معي؟

ـ لا.. سبق وقلت لك..

ـ أعرف.. أعرف.. أنت ذاهب إلى «ستونور» هذا الأسبوع.. لكن

ألا يمكن أن تغير رأيك؟

ـ أنجيلا..

ـ أوه حسن جداً.. أعرف أنك لا تحب معارض الأزياء.. لكن، على أحد منا أن يذهب وأخشى أن أضطر أنا إلى السفر.

ـ كما قلت.. لقد حلت المشكلة بدون تعب.. أستطيع الذهاب إلى ستونور لوحدي.

كورت أنجيلا شفتيها:

ـ كنت أتطلع شوقاً إلى الذهاب معك.. نحن لوحدنا ليومين كاملين!

ـ أجل.. وأنا كذلك.. لكن سيكون هناك عطلات أسبوع أخرى.

ـ أجل.. هذا صحيح. أتوقع أن نقضي الكثير من العطلات هناك معاً بعد زواجنا.

قال أليوت بحدة:

ـ سنعيش هناك بعد أن نتزوج.. أم نسيت هذا؟

غمزت بأنفها:

ـ حسناً.. ليس طوال الوقت.. حبيبي.

ـ ستونور مكان قريب من لندن يسهل التنقل إليه.. وأنا لا أريد أن يتربى أولادي في جو لندن الملوث.

ـ أولادك؟ حبيبي.. ألست تستبق الأمور قليلاً؟

أطلقت ضحكة خفيفة وأضافت:

ـ تتكلم وكأنك تتوقع مني أن أنضي كل وقتي في الإنجاب!

رفع أليوت حاجبيه الأسودين:

ـ لقد أوضحت لك أنني أريد عائلة.. آنجي.

ـ أعرف.. لكن ليس على الفور.. بالتأكيد؟ نحن نحتاج إلى بعض الوقت لأنفسنا.

رفع كتفيه بعدم اكتراث:

ـ كما تريدين.. سننتظر سنة.

بدت مرتاعة:

ـ سنة؟ فكرت.. في خمس سنوات على الأقل.

ـ هذا زمن طويل.

أرادت أنجيلا أن تصرف نظره عن هذا الموضوع فقالت:

ـ سنتفق.. لكن ليس هناك داعٍ لإلزام أنفسنا بسكن الريف لمجرد أننا سننجب عائلة!

ـ أنا لا أريد أن أترك أولادي بين يدي مربية.. متى ستسافرين؟

بدا الغضب على أنجيلا:

ـ هل هذا كل ما لديك لتقوله؟ أنت تفتعل جدالاً في وقت غير ملائم أبداً، ثم تسألني متى سأسافر وكأن مشاعري ليس لها أهمية؟

وضع أليوت القلم من يده لئلا يكسره ونظر إليها.. يا الله.. ماذا يحدث له؟ هذه أنجيلا، الفتاة التي ينوي الزواج منها.. لماذا يدفعها إلى موقع المواجهة معه؟

قال بنعومة وهو يدفع كرسيه إلى الوراء ويستدير حول المنضدة:

ـ أنا آسف.. أعرف أنني متوحش.. وأعتقد أنني خائب الأمل قليلاً.. أعني بسبب الغد.. لا تهتمي بي، أشعر بكبر سني.. هذا كل شيء.

ـ سنك؟

دنت منه وابتسمت:

ـ تعرف أن هذا غير صحيح.. ما الأمر؟ هل إن شركة فرايزر على وشك الإفلاس، أو شيء من هذا؟

ـ لا تهتمي للأمر.. اعتبري أن السبب هو مزاج لعين.. والآن أتريدين أن أقلك إلى المطار؟ متى موعد رحلتك؟

ـ في الحادية عشرة والنصف.. وإذا ذهبت سأطلب من والدي أن يوصلني فهو سيسافر غداً لحضور مؤتمر السوق المشتركة.. ثم إنني أعرف أنك تكره القيادة عبر المدينة في ساعات الزحام، ألا تذكر؟

أجابها أليوت وهو يبتعد عنها:

ـ أذكر.. متى ستعودين؟

ـ ليلة الأحد.. لكن صدقاً حبيبي.. لكم وددت أن أرى وجهك حين ضبطتك السيدة موركبر تقرع باب ماندي.. أعني أنها ظنت بك السوء حتماً!

انخفضت رموش أليوت الكثيفة:

ـ لكنها لم تقل لك هذا.

ـ لا.. أخبرتني فقط ما قلته أنت لها من أنك توصل لها رسالة مني.. ولا أدري لماذا لم تخبرها الحقيقة، وكأنما ماندي تلك المرأة الفاتنة.. بالتأكيد لا يمكن أن تظن أنك مهتم بها.

كان أول اندفاع له رغبته في أن يرد بوحشية على طريقتها المتكبرة. لكنه أمسك بلسانه وقال بخفة:

ـ كان من الأسهل أن أقول لها ما قلته بدلاً من أن أشرح أنني نسيت أنك لا زلت في المتجر.. إضافة إلى أنها كانت ستتساءل لماذا لم أقرع بابها أولاً.. لا أعتقد أنها ترى نفسها عجوزاً مزعجة!

ضحكت محتجة:

ـ هذا لأنها ليست كذلك.. وكان يجب أن تقرع بابها أولاً.. أعني أنت لا تكاد تعرف ماندي!

ـ هذا لأنني كنت أريد استخدام الحمام! ولم أفكر في أن ماندي قد تمانع، بدت لي فتاة طيبة.

سوت ياقة سترتها:

ـ أوه.. إنها هكذا.. إنها طيبة.. قديمة الزي في طريقة لبسها لكن هذا على الأرجح بسبب قلة المال لديها.. أعني.. أنها تعمل في إحدى المؤسسات حيث يعلمون الشبان المهارات وأشياء كهذه، وأعرف أنها ليست مجرد موظفة طباعة أو اختزال لكنني أشك في أن يكون راتبها مرتفعاً.

عاد أليوت إلى السير حول منضدته: «هل تعجبك؟».

بدت الدهشة على أنجيلا:

- تعجبني؟ حسناً.. أجل. أعتقد هذا.. إنها ليست مثلنا لكن لا بأس بها.. ليس لدينا أشياء مشتركة ولا أعرف كيف يمكنها دفع أجرة الشقة! صحيح أنها صغيرة، لكن الإيجارات في تلك المنطقة...

وتلاشى صوتها بطريقة تعبر فيها عما تريد قوله.. ثم أحست أن أليوت ينتظر المزيد فهزت كتفيها مرددة:

- على أي حال أنا لا أراها كثيراً.. ولقد دعوتها إلى الحفلة لأنني شعرت بالأسى عليها! قالت ليلي حينها إنني مجنونة لإقدامي على دعوتها.. لكنني في الواقع أعتقد أن سبب اعتراضها هو إعجاب بيتر تورنتون الواضح بها، أعني بماندي.. مما أغضب ليلي!

دس أليوت يديه في جيبيه:

- تورنتون؟ ومن هو بيتر تورنتون؟

لامست أنجيلا شعرها المجعد بأصابعها:

- ألا تعرفه؟ يعمل والده في صناعة الفولاذ أو الألمنيوم أو شيء من هذا.. وبيتر ابنه الأكبر ووريث ثروة العائلة.. تقول ليلي إنه سيرث لقباً في يوم ما.. على أي حال هي تحاول الإيقاع به منذ أشهر ولقد أثار حنقها عندما أمضى ما يقارب الساعة وهو يتبادل الحديث مع ماندي.

- كما أذكر.. كانت تتكلم مع عدة رجال. وليس مع أي شخص منهم بوجه خاص.

مررت أنجيلا إصبعها على فمها:

- لا.. هذا صحيح.. وأنت بنفسك تحدثت معها. ألم تفعل؟ أعني قبل أن أعرف أنها موجودة.

قال بجفاء:

- لم يكن أحد يكلمها في تلك اللحظات.

أرجع كمه إلى الوراء ينظر إلى ساعته:

- يا إلهي! إن الساعة تقارب الخامسة. قد تصاب السيدة وينسدايل بنوبة قلبية فأنا لم أنظر إلى الرسائل حتى الآن.

بدت خيبة الأمل على أنجيلا:

- أوه.. ألست متفرغاً للذهاب الآن؟ ظننتك ستوصلني إلى المنزل!

كبت أليوت اندفاعاً للرفض بصراحة وقام بحل وسط:

- إذا كنت مستعدة للانتظار نصف ساعة أخرى. ألست مضطرة إلى العودة إلى المتجر؟

تنهدت أنجيلا:

- لا.. قلت لليلي إنني سأعود إلى المنزل مباشرة. أوه.. حسناً.. سأذهب إلى المتجر لبضع دقائق وهناك أغراض أريدها من الصيدلية، وهذا ما سيعطيك وقتاً لتوقع أوراقك.

لكن بعد ذهابها لم يستدع أليوت سكرتيرته على الفور بل وقف قرب النافذة حيث يبدو أنه يقضي وقتاً طويلاً مؤخراً.. وأخذ يقلب فكرة خطرت في باله وسيطرت على اهتمامه.

كانت فكرة أخذ ماندي معه إلى «ستونور» فكرة طائشة وهو يعرف هذا.. صحيح أن الخدم الموجودين في منزله في «أوكسفوردشاير» موثوق بهم.. لكن لا يمكن أن يصطحب امرأة شابة إلى منزله بدون إثارة تعليق، والأمر مختلف في الشقة فتيريسا لم تكن تعرف لمن طلب تحضير العشاء، وإن حدث وعرفت فهي لن تعلق لأنها لا تهتم بأمر أنجيلا. فتصرف خطيبته المتسلط مع الناس الذين لا تعتبرهم من طبقتها لم يكن يروق للمرأة الألمانية، ولقد أوضحت تيريسا أنها لن تبقى معهما بعد زواجهما.. وهذا أمر مؤسف بالنسبة له فهو يعرف تيريسا منذ كان طفلاً في موطنه في إيرلندا..

تنهد بمرارة.. ليس مستقبل تيريسا ما يشغل تفكيره الآن فهي لن ترحل قبل أشهر عديدة.. إن ما عليه الاهتمام به هو تعلقه المتزايد بالفتاة التي ليست خطيبته.. وحاجته إلى التواجد معها هو أمر يقض عليه

مضجعه باستمرار ويجلب الفوضى إلى حياته.

رفع يده يدعك عضلات كتفه بنفاد صبر. لا بد أنه مجنون.. وتذكر كل المكالمات الهاتفية التي أجراها إلى الطابق الأرضي في «برايتون هاوس».. لقد حاول الاتصال بماندي عشر مرات على الأقل خلال الأسبوع الفائت، وإذا لم يكن هاتفها معطلاً فليس أمامه سوى الافتراض أنها لا تريد أن تكلمه.

ما كان يجب أن يحذرها.. وتذكر وعده لها بأن يتصل.. فلو لم تكن تعرف هذا لما شك في أنها تتجنبه. كان يشعر بالإحباط والسخط في كل مرة لا يرد فيها أحد على مكالماته.

* * *

دخلت ماندي إلى شقتها واستندت بارتياح إلى الباب ثم نظرت إلى الساعة الصغيرة الموضوعة فوق رف المدفأة لتجد أن الوقت يقارب الثامنة والنصف.. استقامت تسوّي ظهرها بتصميم وهي تفكر أن لديها ربع ساعة لتستحم وتغير ملابسها وتعد لنفسها ما تأكله.. إنها مدينة للسيد كراون وعليها أن تذهب إلى العمل اليوم ولو أنه يوم جمعة. لقد كان لطيفاً بإعطائها إجازة من العمل لتذهب إلى نيوكاسل.. وأقل ما يمكن أن تفعله هو التوجه إلى عملها حالما تعود.

هزت رأسها ودفعت نفسها عن الباب لتسير إلى غرفة نومها.. إنها متعبة، ولو كان لديها وقت أطول لرحبت بمغطس مياه ساخن بعد جلوسها متكورة لثماني ساعات في المقعد الأمامي من شاحنة ابن خالها جيمي.. عليها أن تكون ممتنة له فقد وفر عليها أجرة السفر.. لكن إسراعها في الذهاب إلى نيوكاسل لم يحقق شيئاً.. خلعت كنزتها والجينز وهي تتذكر الذعر الذي أصابها عندما اتصلت بها أمها لتقول إن ساري تعرضت لحادثة وإنهم نقلوها إلى المستشفى مع شك في وجود كسر في جمجمتها..

ما حصل أن ساري وقعت عن دراجة صديقتها وأمضت ليلة الثلاثاء

في المستشفى «تحت المراقبة» ثم عادت إلى المنزل يوم الأربعاء شاحبة لكن بدون كسور، ولقد توسلت الجدة ابنتها أن تبقى ليلة أخرى خوفاً من حدوث أية تعقيدات ووافقت ماندي، فساري ابنتها مسؤوليتها، وليست مسؤولية أمها.

تمكنت من الوصول إلى العمل في الوقت المحدد. وبدا الارتياح على السيد كراون حين دخلت إلى المكتب.

ـ كنت أخشى ألا تأتي قبل يوم الاثنين.. سيزورنا بعض الأشخاص من الوزارة اليوم لتقييم العمل.

كانت ماندي قد نسيت زيارة المسؤولين من إدارة التعليم المخطط لها لهذا اليوم.

ـ أوه.. أجل.. أنا هنا الآن وبإمكانك أن تستريح.

ابتسم السيد كراون:

ـ أجل.. وكيف حال فتاتك الصغيرة؟

ـ أفضل بكثير.. تعرف كيف هم الأطفال. لقد أبقوها في المستشفى ليلة واحدة ثم خرجت بعد أن طمأننا الأطباء على حالتها السليمة، شكراً لله.. لكن أمي هي التي تلقت الصدمة القاسية.. وأظنها تلوم نفسها.

قال مقاطعاً:

ـ هذا صحيح.. فرعاية فتاة في السادسة من عمرها مسؤولية كبيرة على الجدة. على أي حال، يسعدني أن تكون ساري بخير فأنا أكره أن أخسرك الآن.

ردت بثقة:

ـ لن تخسرني.. والآن ماذا تريدني أن أفعل أولاً؟ هل أهتم بالتقارير أم بجدول أعمال اجتماع الأسبوع القادم؟

تخلت ماندي عن فكرة التسوق وقت الغداء وبدلاً من هذا أخذت سندويشاً من قاعة الطعام وأكلته وهي تعمل في مكتبها طوال ساعة الراحة. وبما أنها أمضت الليلة الفائتة في شاحنة جيمي فهذا يعني أنها لم تنم

أبداً.. وكان من الصعب عليها أن تبقي عينيها مفتوحتين لذا استعانت بعدة فناجين من القهوة السوداء المرّة.. وحين وصل وفد الوزارة، كانت قد مضت قدماً في إنجاز الأعمال المتراكمة أمامها.

وهي في طريقها إلى المنزل، اشترت بعض الأغراض الضرورية وباقة من الزنبق لفتت انتباهها وأعادت أفكارها إلى الرجل الذي كانت تبقي صورته بعيدة عن أفكارها طوال الأسبوع.. وسمحت لنفسها أن تتساءل ما إذا كان قد حاول الاتصال بها.. لقد بقيت ذكرى أمسية الأحد في عقلها الباطن خلال فترة الأزمة في الأيام الثلاثة الماضية. وبالرغم من خوفها ولهفتها على ابنتها وأمها، إلا أنها تدرك أن لأليوت دوراً أساسياً في قرارها العودة بسرعة إلى لندن.. من الحماقة السماح لهذه العلاقة بأن تستمر.. لكن الواقع أنها تفكر فيه، لذا لن يكون الإنكار صادقاً.

بدت الشقة كئيبة مغبرة بعد هجرها قرابة أسبوع.. في الغد يجب أن تنظفها بالكامل، أما الليلة فهي متعبة كثيراً.. تناولت طعامها وقررت أن تخلد إلى النوم باكراً، لكن القرع المفاجيء على الباب قطع عليها أفكارها فتنهدت، لا بد أن السيدة موركير رأتها تدخل.. لقد اضطرت إلى إخبار الوكيل أنها ستغيب بضعة أيام ولا شك أن الفضول يتاب زوجته الآن ويدفعها إلى السؤال عما حدث.

ذهبت لترد وهي تحاول كبت انزعاجها.. لكن ماندي ذهلت لرؤية الطارق الذي لم تكن تتوقعه، وفغرت شفتيها ساخطة حين دفع أليوت الباب ودخل بدون أن تدعوه إلى الدخول.

قال متجهماً: «أقفليه.. أعني الباب».

ولأنها لم تكن ترغب في اجتذاب انتباه السيدة موركير فقد سارعت إلى إقفاله لكنها كانت غاضبة من اعتقاده أن له الحق في اقتحام منزلها.. وبدا عليها هذا الغضب.

سألت وهو يستند إلى الجدار قرب الباب:

ـ ماذا تظن أنك تفعل.. بالضبط؟

رد وعيناه الرماديتان الغاضبتان تجولان على وجهها الغاضب:

ـ هذا ما أريد أن أسأله.. هل هاتفك معطل؟

ـ هاتفي! لا أفهم ما تعنيه.

ـ هاتفك.. تلك الآلة التي يستخدمها الناس في اتصالاتهم مع بعضهم. لديك هاتف، أليس كذلك؟

ـ بالطبع لدي.

ـ إذن لماذا لا تجيبين عليه؟

كتمت أنفاسها: «وهل كنت تتصل بي؟».

فهمت فجأة.. ودفع أليوت نفسه عن الجدار والعبوس يجهم قسماته الرقيقة.

ـ سأعدّل رأيي بك.. أنت حادة الملاحظة!

ردت وهي تشبك أصابعها ثم تحلها:

ـ أوه.. لا تكن ساخراً هكذا! أنا لم أجب على الهاتف لأنني لم أكن هنا!

نظر إليها بارتياب:

ـ لا؟ لا تقولي لي إنهم بدأوا دواماً ليلياً في المؤسسة!

احمر وجه ماندي بسبب لهجته:

ـ لا.. لم أكن في العمل.

زفر أنفاسه متثاقلاً: «أين كنت إذن؟».

رفعت رأسها: «لست مضطرة إلى إخبارك».

تحرك نحوها فتسارعت أنفاسها إضافة إلى ازدياد حدة نبضها، وقال:

ـ لكنك ستخبرينني.

ـ ولماذا أفعل؟ لا شأن لك في هذا؟

أصبح قريباً منها بحيث رأت عضلة صغيرة ترتجف عند زاوية فمه:

ـ ألا شأن لي؟ حتى ولو قلت لك إنني كنت أتصل باستمرار منذ أمسية الثلاثاء؟

رطبت شفتيها الجافتين: «لم أطلب منك هذا».

اتسعت فتحتا أنفه قليلاً وهو يحاول السيطرة على أعصابه:

ـ لا.. لكن أقل ما يمكن أن تفعليه هو أن تكوني صادقة معي.

تنهدت ماندي:

ـ أنا صادقة. في.. الواقع.. ذهبت إلى بلدتي مرة أخرى.

قطب أليوت: «بلدتك؟ تعنين إلى نيوكاسل؟».

ـ أجل.

ارتد إلى الوراء قليلاً:

ـ أوه.. هيا الآن.. أتحاولين القول إنك ذهبت إلى نيوكاسل يوم الثلاثاء، في وقت عدت فيه من هناك ليلة الأحد؟

ـ ولمَ لا؟

هز رأسه:

ـ أنا لم أولد بالأمس.. ماندي، فلا تكذبي علي!

ـ أنا لا أكذب.

ـ لا؟

رأت تعبيره المحتقر فتوصلت إلى قرار.

ـ لا.. لقد تعرضت ابنتي لحادثة.. وأرسلت أمي بطلبي.

كان ذهوله ظاهراً بوضوح: «ابنتك؟».

رفعت ظهرها مستقيماً:

ـ أجل.. لدي طفلة.. والآن إذا لم تكن تمانع.. أنا متعبة.

سألها بدهشة:

ـ مهلك لحظة.. أتقولين إن لديك ابنة؟ أين تعيش؟ مع زوجك السابق؟

ضحكت بمرارة ضحكة قصيرة:

ـ هايد؟ لا.. إنها تعيش مع أمي..

حاولت أن تبتعد عنه قليلاً، لكنه أردف قائلاً:

ـ اهدأي قليلاً.. أتسمحين؟ دعيني أستوعب هذا.. كم عمرها؟ وما اسمها؟

ـ ساري.. وعمرها ست سنوات.

ـ ستة؟

ـ لست، فتاة مراهقة أليوت.

ـ ولم أعتقد يوماً أنك هكذا.. أعتقد أنه علي الاعتذار.

ـ ليس هذا ضرورياً.

تنهد:

ـ بلى.. ضروري، ماذا حدث؟ قلت إنها تعرضت لحادثة.. هل هي بخير؟

ـ إنها بخير تماماً.

كانت لهجتها متصلبة كوقفة ظهرها.. ورفع كتفيه بخشونة قائلاً:

ـ لا تعرفين أبداً ما مرّ بي.. ظننتك تتجاهلينني عمداً.

ـ إنها جريمة حقاً!

ردّ عليها بخشونة:

ـ لا تسخري مني ماندي! فأنا أعني ما أقول ولا أشك في احتياجي إليك الآن حتى ولو أنك تبدين متعبة لم تنامي منذ أسبوع!

قالت بمرارة وهي تدير رأسها عنه:

ـ أنا آسفة، لا بد أنها صدمة لك أن تراني كما أبدو تماماً! بدون ذكر اكتشافك أن لدي ابنة في سن الطفولة!

ـ ماندي..

كان استخدامه لاسمها إنذاراً.. لكنها لم تهتم به.. وسألت:

ـ ماذا تفعل هنا على أي حال؟ ألا تخشى أن تراك أنجيلا؟ أوليس من الحماقة أن تأتي في وضح النهار؟

ـ أنجيلا في باريس، سافرت هذا الصباح ولن تعود قبل يوم الأحد.. هل يجيب هذا على سؤالك أم ترغبين في المزيد؟

التوت شفتاها:

- أوه.. لا.. كان يجب أن أعرف.. أنت لا تخاطر بدون أن تحسب العواقب.. أليس كذلك أليوت؟

سأل بصوت منخفض عنيف:

- ماذا تحاولين فعله بي؟ ماذا تريدينني أن أقول؟ أنني كنت سآتي إلى هنا في جميع الأحوال، ولن أهتم بأنجيلا وبخطوبتنا؟

احمر وجه ماندي: «لا..».

- إذن توقفي عن استفزازي.. أتسمحين؟ في الواقع، أنا جالس أمام المنزل منذ الرابعة.. أنتظر عودتك..!

رفعت نظرها إليه قليلاً: «لا.. لم تفعل هذا؟».

- أوه.. لقد فعلت.. ألم تري السيارة؟ إنها متوقفة في الشارع.. لا.. بالطبع لم تريها.. نسيت أنك كنت مشغولة بالزنابق التي تحملينها.

هزت رأسها:

- ما كان يجب أن تأتي إلى هنا.. يكفي أن تتصل!

- مرة أخرى؟

- أليوت..

- أخبريني ما شئت فيما بعد، وتوقفي عن استفزازي.

- أليوت.. لا يمكنك البقاء هنا!

مرت بضع لحظات قبل أن يرد، لكن حين فعل هبطت معنوياتها كثيراً.

- لا أنوي البقاء.. أتذكرين أنني أخبرتك أنني أملك منزلاً في الريف؟ أنا ذاهب لأمضي نهاية الأسبوع هناك.

حاولت ألا تظهر خيبتها: «أوه.. كم هذا لطيف».

نظر إليها بعينين كسولتين:

- فعلاً.. إنه يقع في قرية تدعى «ستونور إند» وفي مكان هادىء جداً وريفي جداً.

دفعت لهجة حماس إلى صوتها: «يبدو لي جميلاً».

جلس بتكاسل على الأريكة وأسند رأسه إلى الخلف:

- أجل.. إنه جميل في هذا الوقت من السنة.. أرض الغابات مغطاة بالأزهار الربيعية الصفراء والبيضاء، وهناك مئات من تلك الزنابق التي تعجبين بها تنمو قرب البحيرة.

- وهل هناك بحيرة؟

- بحيرة صغيرة فقط.. نستخدمها للسباحة صيفاً، صحيح أنها باردة المياه لكننا نستمتع فيها.

زفرت نفسها:

- نحن؟ تعني أنت.. وأنجيلا؟

- أحياناً.. لكن في معظم الأوقات، تستخدمها لوسي وأصدقاؤها.. فالمنزل ذاك هو بيتها الثاني.

- لوسي؟

- لوسيندا فرايزر.. إنها شقيقتي.. تدرس في جامعة أوكسفورد.

هزت رأسها: «أوه.. فهمت».

- حقاً؟ وهل ظننت أنني أحتفظ بالنساء هناك؟

ردت كاذبة: «لم أفكر في هذا أبداً..».

- على أي حال، يلزم ساعة ونصف للوصول إلى هناك.. إلا إذا كان الوقت وقت الزحام الأسبوعي فتستغرق الرحلة عندها وقتاً أطول.

- لماذا لا تذهب إذن؟ ستكون نهاية أسبوع رائعة.. على الأقل هذا ما قاله السيد كراون.. وأنا واثقة أنك ستستمتع هناك.

قال بهدوء: «تعالي معي».

ظنت للحظات أنها تخيلت ما سمعت.. واحمر وجهها الشاحب بعدم تصديق فوقف أليوت عن الأريكة ليلتقي بعينيها القلقتين ويكرر:

- تعالي معي.. اقضي نهاية الأسبوع معي.. أحب أن أريك ستونور، وسأحب صحبتك جداً.

طرفت عينا ماندي: «لا يمكن أن تكون جاداً».

تنهد أليوت:

ـ دعينا لا نخوض في نقاش آخر بخصوص ما هو صواب وما هو خطأ.. كما قلت أريد صحبتك.. وهذا كل شيء. أنت تعجبينني وأظنك معجبة بي.. فلماذا لا نقضي بعض الوقت معاً؟

* * *

٦ ـ وحدهما فقط

كانت غرفة ماندي في مؤخرة المنزل تطل على ملعب التنس وتسمح برؤية حافة البحيرة المحاطة بالقصب والمروج العشبية.. وكانت الغابة التي تكلم عنها أليوت تشكل ستارة خلفية من بعيد.

أسندت ماندي مرفقها إلى النافذة المفتوحة غير آبهة ببرودة هواء الصباح الذي اخترق غلالة نومها.. المكان كله مختلف عن جو لندن ورائحتها.. وتنشقت بعمق تميل لأن تصدق أنها لا زالت تحلم.

نظرت خلفها إلى السرير الواسع الذي نامت فيه ليلاً ملء أجفانها، كان فراشاً عصرياً، مريحاً. السجادة الناعمة بألوانها الزهرية والرمادية تمتزج بجمال مع الحرير الرمادي الذي يزين الجدران، وهناك خزانة طويلة مصقولة ذات أدراج ومرآة، ومقعد طويل.

وتذكرت ماندي كم هي غير متناسبة مع ما يحيط بها وهي ترتدي ثوباً قطنياً عادياً.. إنها متأكدة أن أنجيلا لا ترتدي سوى الحرير والدانتيل للنوم.. لكن أنجيلا معتادة على هذا النوع من الفخامة، أما هي فلا.

تنهدت ماندي وابتعدت عن النافذة وهي تنظر إلى الغرفة بشيء من الارتياب.. وتساءلت للمرة التي لا تعد عما كان رد الفعل الحقيقي لوصولها بين الخدم.. ليلة أمس قدمها أليوت إلى مدبرة المنزل التي كانت مؤدبة جداً معها.. واسمها ماغي ماكلونغ.. لكنها كانت تعرف أن هناك خدماً آخرين.. وهل يمكن أن يفكروا سوى بالأسوأ؟

بالطبع كان الوقت متأخراً كثيراً عندما وصلا الليلة الفائتة.. فبعد

زيارته ودعوته المفاجئة لها، وافقت ماندي على تناول العشاء معه لأنها لا زالت لديها شكوك بالنسبة لمرافقته، لكن بعد الوجبة اللذيذة في مطعم هادىء، استرخت أعصابها وتوقفت عن الاحتجاج.. تنعمت بدفء السيارة والموسيقى الناعمة في الراديو وقرب أليوت المريح، وأحست أنها قانعة لا تستطيع المقاومة، وعندما فتحت عينيها للمرة التالية كانا على بعد أميال فوق الطريق الرئيسية.

كان منزل أليوت الريفي أكثر تأثيراً عليها من شقته في لندن: سجاد حريري، جدران مكسوة بالخشب المصقول، نافذة ضخمة من الزجاج الملون، ومكتبة جدرانها مرصوفة من الأرض حتى السقف بكتب ضخمة..

انتشلت نفسها من أفكارها وتساءلت ما إذا كان أليوت قد استيقظ أم لا.. إنها الساعة الثامنة وتشك في أنه لا زال في السرير.. أحست بقلق، فدخلت إلى حمامها مسرعة قبل أن تغرق في أفكار مجنونة..

بعد الحمام، جففت شعرها ثم لفت نفسها بروب حمام وجدته خلف الباب وعادت إلى غرفة النوم.

فتحت الخزانة لتأخذ ما ترتديه وتفاجأت بوجود مجموعة ملونة متعددة الأشكال معلقة في الجهة الأخرى، لم تكن ملابسها بالطبع بل كانت ملابس امرأة أخرى فأغلقت الباب بحدة.

ارتدت الجينز وقميصاً قطنياً طويل الأكمام، وبينما كانت تمشط شعرها أمام المرآة المعلقة فوق الأدراج قرع أحدهم الباب.

ـ نعم؟

انفتح الباب ببطء لتدخل فتاة في سن المراهقة حاملة صينية، ونظرت بارتباك إلى السرير حين رأته فارغاً.. لكنها سرعان ما رأت ماندي تمشط شعرها، فتهللت أساريرها لتكشف عن بسمة ودية وقالت بلهجة ريفية محببة:

ـ فكرت السيدة ماكلونغ أنك قد تفضلين تناول الفطور في السرير هذا

الصباح.. آنستي.. لقد أخبرنا السيد أليوت أنك متعبة وطلب ألا نزعجك.. لكن السيدة ماكلونغ ظنت أنك سترحبين بفنجان شاي بعد ليلة في فراش غريب، وما إلى ذلك.

ـ أوه.. شكراً، هذا لطف من السيدة ماكلونغ.

ـ ألا تفضلين النزول إلى الطابق الأسفل وقد استيقظت الآن آنستي؟

هزت ماندي رأسها نافية، فأردفت الفتاة:

ـ إذن سأضع الصينية هنا.. هناك عصير برتقال وبيض مخفوق مقلي في حال كنت جائعة، وإذا كنت تفضلين القهوة، فلا مشكلة.

ـ شكراً لك، أرجو أن تقولي للسيدة ماكلونغ إنني ممتنة لها.

ـ أجل.. آنستي.

ابتسمت الفتاة وخرجت، وتقدمت ماندي إلى الصينية بشيء من الذهول.. هزت رأسها تعجباً وجلست إلى حافة السرير تصب الشاي لنفسها.. لقد مضت سنوات طويلة منذ جاءها أحد بفطورها إلى السرير ولم يكن يوماً بمثل هذا الترتيب والفخامة.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة عندما أنهت ماندي طعامها ووضعت قليلاً من الزينة على وجهها وتفحصت مظهرها قبل أن تترك الغرفة، فارتاحت لرؤية أن الخطوط السوداء التي كانت تحيط بعينيها في اليوم السابق كادت تختفي. وهناك القليل من اللون يغطي وجهها. وبالرغم من أنها ترى قسماته عادية، إلا أن الترقب كان يعطي عينيها لمعاناً غير مألوف.

أقفلت الباب خلفها وسارت فوق السجاد العاجي اللون بمحاذاة عدة أبواب أخرى.. وتساءلت ما إذا كان أحدها لغرفة أليوت..

كان خشب الساج ينزلق بنعومة تحت أصابعها وهي تنزل السلم إلى الأسفل.. وكانت تكتكة «ساعة الجد» القديمة الطراز، الصوت الوحيد المسموع.. ثم بعدها يستطيع المرء سماع أصوات العصافير ونباح كلب من بعيد وحتى خوار أبقار ترعى في مكان ما ليس ببعيد.

سألها صوت من خلفها:

ـ أتبحثين عن أحد آنسة آبكوت؟

وأدركت أنها كانت تقف عند أسفل السلم كمن يقف في حلم. . ووجدت مدبرة المنزل الصغيرة الجسم إلى جانبها فسألت:

ـ أوه. . سيدة ماكلونغ. . هل استيقظ السيد فرايزر؟ كنت أتساءل أين يمكن أن أجده.

ـ بالتأكيد. . لقد استيقظ السيد أليوت منذ ساعتين آنسة آبكوت، أخبرنا أنك قد تبقين غافية حتى منتصف فترة الصباح وأنك ستجدين الجو غريباً هنا بعد ضجيج لندن.

ابتسمت ماندي:

ـ أنت محقة. . يجب أن أشكرك ثانية على الفطور. كان لذيذاً جداً. . أنا. . تركت الصينية فوق.

ـ لا بأس في هذا آنسة آبكوت، ستجلبها روز حين تصعد لترتيب السرير.

تمتمت ماندي بشيء من الارتباك:

ـ . . في الواقع، اسمي السيدة آبكوت. . أتعرفين أين هو السيد. . أليوت؟

لم ترد المرأة فوراً على سؤالها:

ـ سيدة آبكوت؟ وهل سينضم زوجك إليك هنا. . سيدة آبكوت؟

ـ لا. . فأنا مطلقة. . سيدة ماكلونغ، ولا فكرة لدي عن مكان زوجي السابق.

وضعت المرأة مرفقها في كف يدها وأمسكت أذنها مفكرة:

ـ آه. . أنت إذن تبحثين عن زوج آخر سيدة آبكوت.

ـ أنا لا أبحث عن زوج آخر سيدة ماكلونغ. أتعرفين أين هو السيد فرايزر أم أبحث عنه بنفسي؟

ـ طبعاً أعرف، إنه مع الجياد منذ السابعة والنصف، وإذا كنت تنوين

الذهاب إلى الإسطبل ضعي معطفك قبلاً، صحيح أن الشمس أشرقت لكن البرد لا زال مسيطراً.

ـ شكراً لك.

ابتسمت مدبرة المنزل وقالت بخبث:

ـ أنا أفكر فيما هو خير. . لكما معاً. لفي نفسك بشيء دافيء. . أنت لن ترغبي في الإصابة بنزلة صدرية. . أليس كذلك؟

صعدت ماندي إلى غرفتها لتأخذ سترتها الزرقاء الواقية من الريح، واعترفت مرغمة أن ما تقوله السيدة ماكلونغ صحيح رغم أنها أشياء مثيرة للسخط. . أحست أن المرأة تفكر فعلاً في مصلحة أليوت من كل قلبها. . وبما أنها مطلقة فقد يقود هذا الواقع إلى تخمينات واضحة.

نزلت إلى الطابق الأسفل مرة أخرى، خرجت من الباب الأمامي تدفع يديها في جيبي سترتها، وتنطلق عبر الفناء. . كانت السيدة ماكلونغ محقة، فقد أرجع هواء بارد شعرها إلى الوراء عن وجهها، والطقس أبرد مما كان في الليل الفائت مع أن الشمس مشرقة.

كانت مقدمة المنزل تواجه الطريق الداخلية التي مرا فيها ليلاً. . ورأت ماندي إلى يمينها سياجاً أبيض يحيط بمجموعة من الخيل وصغارها، وإلى البعيد حقل ترعى فيه الأبقار التي سمعت صوتها في وقت مبكر. . كما قال أليوت، المكان هادىء وريفي جداً. . وتنشقت الهواء النقي ملء رئتيها وهي تسير بحماس.

لمحت أليوت قبل أن تصل إلى مجموعة أبنية تشكل الإسطبلات، وكان واقفاً في الفناء يتحدث إلى رجل مسن، وتسارعت دقات قلبها بشكل مزعج عند رؤية جسده النحيل. كان يرتدي سترة قصيرة فوق بنطلون ركوب مخملي يندس تحت حذاء أسود بطول الركبتين. . وبدا منسجماً تماماً مع ما يحيط به.

كان الرجل المسن السبّاق في رؤية ماندي. ولا شك أنه لفت انتباه أليوت الذي استدار إليها فوراً وراح يلوح بيديه. ماذا يظن نفسه يفعل؟

وأبطأت خطواتها بتعاسة. كيف سيفسر هذه الزيارة مهما كانت بريئة لأنجيلا؟ وكيف ستكون ردة فعلها إن عرفت أن جارتها تجتذب اهتمام الرجل الذي تنوي الزواج منه؟ لو أنها مكان أنجيلا لكرهت هذا حتماً.. فهل هي الآن تتصرف بطريقة أفضل مما تصرف بها هايد معها؟

سألها أليوت وهو يتقدم نحوها متكاسلاً:

ـ لماذا تبدين غاضبة هكذا؟ لم أعتقد أنك قد تستيقظين الآن.. ألم تنامي جيداً؟

ردت بلهجة رسمية:

ـ نمت جيداً جداً.. وأنت؟

ـ لا.. في الواقع كان نومي سيئاً.. ويعود السبب إليك.. هل تناولت الفطور؟

لوحت بيدها:

ـ أجل.. أرسلت السيدة ماكلونغ لي الفطور إلى الغرفة.. ولسوء الحظ، كنت قد غادرت السرير عندما وصلت.

ـ طلبت منها ألا...

قاطعته بحدة:

ـ أجل.. هذا ما قالته الخادمة. لكنني لست معتادة على الاستلقاء في السرير إلى ساعة متأخرة من الصباح، فأنا امرأة عاملة.

ـ هذا ما تستمرين في تذكيري به.. والآن هل ترغبين في إلقاء نظرة على المكان؟ لا أعرف ما إذا كنت تهتمين بالجياد.. لكنني أحتفظ بجوادين للصيد.

ـ جوادين! لقد رأيت أعداداً مضاعفة في الحقل المسيّج.

ـ كانت تلك إناث للاستيلاد.. هذا ويليان لوكاس مدرب الخيول. سأريك ما لدينا من خيول إذا أحببت..

أطرقت رأسها تحاول إيجاد كلمات مناسبة:

ـ لا.. فهذا.. أليوت.. من الأفضل أن أعود.

ضاقت عيناه الرماديتان:

ـ تعودين إلى أين؟ إلى المنزل؟ هل هناك شيء خاطىء؟

ـ أعني إلى لندن..

أطلق سباباً من بين شفتيه ثم قال بصوت منخفض:

ـ بحق الله! ظننت أننا سوّينا هذه المسألة.

دمدمت بغضب وهي تدفع شعرها بعيداً عن عينيها:

ـ حسناً.. نحن لم نسوّ شيئاً.. أليوت، أشعر أنني مخادعة! أنا لا أنتمي إلى هنا.

ـ ومن يقول هذا؟ هل قالت لك ماغي شيئاً؟ هل ألمح أحد لك بشيء؟

ـ لا.. على الأقل.. ليس مباشرة.

ـ وماذا يعني هذا؟

ـ استمرت السيدة ماكلونغ في مناداتي بالآنسة آبكوت، فأخبرتها أنني مطلقة.

ـ و..؟

تنهدت ماندي: «أوه.. هل يهم هذا؟».

ـ يهمني أنا.. هل علقت ماغي على كونك مطلقة؟

ـ حسناً.. لقد قالت.. قالت إنني لا زلت شابة لأنتش عن زوج جديد.. ولا أظنها صدقتني حين قلت لها إنني لست هكذا.

لانت أسارير أليوت مجدداً:

ـ هل هذا كل شيء؟ أوه.. لا تهتمي بماغي، إنها فضولية هذا كل ما في الأمر.

لم تستجب لابتسامته وصاحت:

ـ ألن تشعر أنت بالفضول لو كنت مكانها؟ أليوت أيمكنك أن تتصور ما قد يظنه هؤلاء؟

اقترب منها وقال لها:

ـ إن كنت وافقت على شروطك فهذا لا يعني أنني أحببتها، والآن هيا.. أوقفي كل هذا الكلام الهراء بخصوص العودة إلى لندن، ودعيني أريك الأراضي.. أنا أريدك هنا.. وهذا هو المهم.

ثم تابع مداعباً:

ـ سأدعك تقطفين الزهور من الغابة إذا وعدتني أن تكوني فتاة طيبة.

هزت رأسها بضعف أدركه حتماً.

ـ أليوت.. وماذا عن أنجيلا؟ ماذا ستقول حين...؟

ـ دعيني أنا أقلق بخصوص أنجيلا.. وتوقفي عن توقع شيء قد لا يحدث أبداً.

ابتسم:

ـ والآن.. هل تريدين اصطحاب الكلاب معك؟ أحذرك، إنها محبة مثل صاحبها.

كان صباحاً رائعاً بصحبة كلبي صيد رائعين أمضيا معظم وقتهما يتشممان العشب، سارت ماندي لأميال وهي ترتدي حذاء من المطاط وجده لها أليوت في الإسطبل، تماشي خطواته إلى المرعى حيث تنتشر مجموعة من الماشية. لم يكن يهمها أين تضع قدمها وهي في الحذاء المطاطي، وكان أليوت يعود إلى جانبها كلما توقفت بعد خطوة خاطئة لتنظف الحذاء من الوحل.

قال ممازحاً:

ـ لا بأس في هذا.. طالما لا تخطئين وتجلسين على الأرض.

تحدثا كثيراً.. أشياء عامة في معظمها، أخبرها أليوت القليل عن الشركة والدور الذي يلعبه فيها وكان متكتماً فيما يختص بمؤهلاته، يقلل من أهمية دراسته في أوكسفورد وذكائه الحاد.. مع ذلك فقد أحست ماندي بالفخر الذي يحسه.. إنها شركة توظف مئات الملايين من الدولارات بكل ما تعنيه من مسؤوليات.. بينما هي من ناحية أخرى ابنة مراقب منجم من «تاينسايد» قتل داخل المنجم حين كانت ساري لا تزال

صغيرة.

تناولا الغداء في غرفة الطعام، غرفة جذابة تطل على المناظر الخارجية.. بعد مشوارهما، أصبح خدا ماندي محمرين بلون جميل ولم يحرك أليوت عينيه عنها وهي تتناول وجبتها بشهية.

قالت بعد ابتلاعها لقطعة اللحم من الفطيرة التي حضرتها لهما السيدة ماكلونغ:

ـ جيد أنني لن أبقى هنا إلى أكثر من الغد.. فلسوف أصبح سمينة جداً.. مثل لاسي.

سأل أليوت بكسل:

ـ ومن هي لاسي؟

ـ إنها قطة.. قطة أمي في الواقع، وساري تعذبها بدون رحمة.

وضع أليوت ذقنه على يده:

ـ أود أن أقابل ساري.. هل أستطيع؟

وضعت سكينها والشوكة من يدها:

ـ وكيف يمكنك هذا؟ قلت لك.. إنها تعيش مع أمي.

ـ في نيوكاسل.. أعرف.

تابع بتوسل:

ـ لكنك تذهبين إلى هناك دائماً.. ألا تفعلين؟ في نهايات الأسبوع.

حاولت ماندي التهرب من الإجابة، فرفعت نظرها إليه:

ـ لماذا تريد مقابلتها؟

ـ لأنها ابنتك.. لأنني أريد أن أعرفها.. لأنها جزء من حياتك.

تنهدت: أوه.. أليوت..

قال بصوت ناعم:

ـ ما رأيك بنهاية الأسبوع القادم؟ يمكنني أن أوصلك إلى هناك مساء الجمعة أو صباح السبت.. ولا تقلقي.. أنا لا أدعو نفسي إلى بيت أمك.. بإمكاني الإقامة في فندق. أعتقد أن هناك فنادق في نيوكاسل..

أليس كذلك؟

- بالطبع يوجد فنادق.. لكن.. حسناً، لست أدري ما إذا كان هذا سيعجب أمي.. أعني إقامتك في فندق.. ستظن.. حسناً، بإمكانك التخمين بما ستظنه.. أنا واثقة...

- أن منزلها لا يليق بي؟ حبيبتي.. لو دعوتني للإقامة معكما، فسأكون أسعد الناس وسأقبل الدعوة حتماً.

- لا تكن سخيفاً!

ما يقترحه جنون، تهور طائش تماماً مثل وجودها هنا.

- ألا تحبين أن تذهبي إلى بلدتك في نهاية الأسبوع القادم؟

- وماذا سأقول لأمي؟

- وهل يجب أن تقولي لها شيئاً؟

هزت رأسها:

- وكيف أقدمك لها؟

- كصديق.. وما هو الغريب في هذا؟

- صديق غني!

- مجرد صديق.. ماندي! توقفي عن وضع العراقيل بيننا لأنني من أسرة فرايزر!

قال بتوسل:

- دعيني أذهب معك. دعيني أقابل ساري.. وأعدك ألا أفعل ما يحرجك.

أنقذ وصول السيدة ماكلونغ مع الحلوى ماندي من الرد، لكن عينا أليوت كانتا متوسلتين بطريقة مقنعة.. قال لمدبرة المنزل مشجعاً:

- لقد أعجبت السيدة آبكوت باختيارك للطعام. هذا صحيح ماندي، أليس كذلك؟

- كانت الفطيرة لذيذة جداً، ولا أظن أنني قادرة على تناول المزيد.

قالت السيدة ماكلونغ:

- أنا واثقة أنك قادرة على تذوق القليل من التوت البري الطازج.. هل ستتناولان القهوة هنا أم في غرفة الجلوس؟

- سنأخذها في غرفة الجلوس.

والتفت إلى ماندي يدفع الفاكهة نحوها:

- تفضلي.. فأنا أستمتع بمراقبتك.

احمر وجهها فنظرت إليها السيدة ماكلونغ بشيء من الإشفاق، وقالت:

- لا تهتمي به سيدة آبكوت. إذا رغبت في القليل منها فتناوليه.. فهو لم يتناول وجبة لائقة منذ مجيئه إلى هنا.

غادرت المرأة الغرفة فالتفتت ماندي إلى أليوت تسأله: «هل هذا صحيح؟».

- نحن هنا منذ ليلة أمس فقط!

- أولم تتناول الفطور؟

رد بهدوء:

- لست جائعاً.. تناولي التوت البري.. لإرضائي فقط.

أمضيا فترة بعد الظهر في غرفة الجلوس يصغيان إلى الموسيقى ويراقبان تغيّر الطقس في الخارج. بدأ المطر يهطل وهما يتناولان الغداء.. وأخذت حباته تضرب زجاج النوافذ الآن وتلفهما معاً في عالم معزول عن أية تأثيرات خارجية.

وهي تجلس متكورة فوق الأرض مرتدية جينزها وكنزة صوفية بدون تبرج، لم تكن تعي أبداً كم كانت تبدو شابة.. لكن، حين رفعت نظرها ورأت نظرة أليوت المركزة عليها، أدركت أنها لم تكن حذرة فأبعدت شعرها عن عينيها بحركة دفاعية.

قال:

- استرخي.. أنت مرتاحة، أليس كذلك؟

- أنت تعرف هذا.

مدت ذراعيها فوق رأسها تتمطى، وتحرك أليوت فوق السجادة الناعمة ثم تمدد وقال:

ـ أشعر بالنعاس.. أتمانعين؟

لكنه كان سؤالاً عفوياً، فعيناه كانتا قد أطبقتا قبل أن تجيب.

نام لفترة كانت ماندي تحس فيها بتوتر بالغ ثم نظرت إلى عينيه المغمضتين اللتين أعطتا وجهه ضعفاً يثير الاضطراب. إن هذا الرجل يؤثر في مشاعرها كثيراً ويجعلها تتساءل عن كنه هذه المشاعر.

تحرك ثم فتح عينيه. بقيت تنظر إليه للحظة، تحس بشوقها إليه. وفجأة وقفت على قدميها، وذهبت لتجلس على مقعد قرب النافذة.. وعندما سيطرت على نفسها نظرت خلفها لتجده قد عدّل جلسته على الأرض مستنداً إلى الأريكة.

دخلت الخادمة التي جاءت لماندي بالفطور حاملة صينية شاي في حوالي الساعة الخامسة. فتخلت ماندي عن مقعدها بعد أن أمضت نصف الساعة الأخيرة وهي تحدّق خارج النافذة وجلست على مقعد قريب من الطاولة. ابتسم أليوت للفتاة وهي تضع الصينية قرب ماندي.

ـ مرحباً روز.. كيف حال أمك؟ هل تحسنت؟

استقامت الفتاة ونظرت إليه بسعادة ظاهرة:

ـ أوه.. أجل سيد أليوت.. لقد أفادتها تلك العطلة كثيراً.. يقول الطبيب إن لا سبب يؤخر شفاءها.

ـ هذا جيد.. أعلميها أنني سألت عنها، أتسمحين؟

احمر وجه روز فخراً: «شكراً لك.. سأفعل هذا».

ـ جيد.

نظر أليوت إليها بمرح، وبانحناءة منها نحو ماندي، خرجت الفتاة مسرعة.

سألت ماندي:

ـ أنت تحب الشاي بدون حليب.. أليس كذلك؟

ـ أرجوك.. أنت تذكرين هذا.. وهو شيء مميز.. كما أعتقد.

ـ أليوت.. أرجوك.

ـ أعرف.. أعرف.. أنا آسف.. لن أتفوه بشيء آخر.

ولم يقل شيئاً.. وخلال ما تبقى من وقت، كان يتصرف بطريقة مثلى، يحافظ على علاقة ودية غير شخصية، قالت ماندي لنفسها إنها تريدها هكذا، لكنها وجدت صعوبة في تقبلها.. سيكون أمامها وقت طويل تستسلم فيه لمشاعر الذنب التي تختبىء قاتمة تحت غلالة تحفظها.. لكن مع حلول الساعة العاشرة واضطرارها إلى النوم.. كانت تحس بالفراغ في داخلها، إحساس رفض أن يزول.

***

أوصل أليوت ماندي إلى لندن مساء الأحد.

عندما غادرا المنزل في «ستونوراند» كان الوقت لا زال مبكراً، ونظرت ماندي من فوق كتفها بإحساس بؤس.. من المستحيل أن يكون قد مرّ يومان فقط على مجيئهما إلى هنا.. لقد أحست بتعلق كبير بهذا المنزل وسيكون من الصعب أن تنساه.

كانت أحداث اليوم بحد ذاتها غير منطقية.. فلم يظهر أليوت قبل وقت الغداء.. وأشفقت السيدة ماكلونغ عليها وهي تراها تتجول في غرف الطابق الأسفل، فأعلنت أن أليوت بقي مستيقظاً طوال الليل مع البيطري، يحضر ولادة الفرس التي جاء وليدها من قوائمه أولاً.. لكن ماندي عرفت أن مديرة المنزل تشك بشيء ما، فقد أمضى أليوت كثيراً من وقته الثمين يتحدث إلى جايمس لايتون الجنائني الذي رأته ماندي من غرفة نومها عندما صعدت لتوضب حقيبتها. ووقفت قرب النافذة لعدة دقائق تراقبهما.. تحس أن قلبها يتمزق... إنها لا تريد الذهاب.. لا تريد

العودة إلى لندن.. فهي تعرف أنها حين ستتركه قد لا تراه مرة أخرى.

كانت روز ترتب الفراش وعرضت عليها أن تساعدها في توضيب الحقيبة.. لكن ماندي رفضت عرضها بلطف. وابتسمت الفتاة شاكرة:

ـ أنت مسافرة اليوم، أليس كذلك آنسة؟ هل تحبين العيش في لندن؟

ردت صادقة:

ـ ليس كثيراً.. لكن البعض منا لا خيار له.

ـ لا.. أحياناً أظن أنني سأحب المقام في لندن.. لكن هناك أمي، وكل شيء. لا أظن أن هذا ممكن.

ـ والدتك مريضة؟ أنا آسفة.. هل هو مرض خطير؟

كشرت روز:

ـ إنه السرطان.. لقد أجريت لها جراحة.. ثم الكثير من العلاج للتأكد من موت كل الخلايا السرطانية.. كانت مريضة جداً، وظن والدي أنها لن تعيش.

نظرت ماندي إلى الفتاة بلطف: «لكنها عاشت».

ـ أوه.. أجل.. والشكر في هذا للسيد أليوت. لقد رتب أمر كل شيء! ثم حين أصبحت حالتها جيدة أرسلها ووالدي إلى باربادوس لتقضاء عطلة كي تبتعد عن الطقس البارد.

أخذت ماندي نفساً عميقاً: «هذا لطف منه».

ـ أجل.. إنه لطيف.. أليس كذلك؟ لكنك تعرفين هذا.. كونك صديقته.

علقت ماندي بشيء ما لم تعد تذكره.. وسرعان ما أنهت روز عملها وتركتها.. لكن كلماتها بقيت عالقة في ذهن ماندي. إن أليوت لطيف، كريم، وهي لم تعرف أبداً رجلاً مثله من قبل.

تمت رحلة العودة إلى لندن بدون أي تأخير، وكانت الساعة تكاد تبلغ التاسعة إلا ربعاً عندما توقفت اللامبرغيني خارج بوابة المنزل.. لم يقترح أليوت التوقف للعشاء حتى أنه لم يحدثها كثيراً، وافترضت ماندي أنه

سيكون مسروراً بتوديعها الآن.

لكنه فاجأها بإصراره على حمل حقيبتها إلى الباب صارفاً النظر عن مخاوفها من أن تراه السيدة موركير. وهي تكافح لدس المفتاح في قفل الباب، تساءلت لماذا لم ينزلها وحقيبتها عند البوابة الخارجية.. واضح أنه كان يتشوق للخلاص منها لذلك لم تعرض عليه تناول الشاي أو القهوة.. وفتحت فمها لتعبر عن شكرها لضيافته، لكنه أسكتها بالقول:

ـ أعتقد أنك لن توجهي لي دعوة لزيارة نيوكاسل في نهاية الأسبوع القادم.. هل ستفعلين؟

ـ أنا.. هل تريد.. لا زلت تريد الذهاب؟

ـ لا زلت أريد..

تدفقت دموع حمقاء كانت تترقرق في عينيها، فأقفل الباب خلفه وهو يتمتم:

ـ يا إلهي! ماذا تحاولين أن تفعلي بي!

ـ ظننتك تريد الرحيل.. ظننتك سئمت مني.

تأوه:

ـ أنت طلبت أن أظل بعيداً عنك، ألا تذكرين؟ لو كنت غيّرت رأيك، لكان من الواجب أن تبلغيني.

شهقت:

ـ هذه طريقة بذيئة لوصف الأمور!

ـ وماذا تتوقعين مني؟ لست معتاداً على قضاء يومين كاملين في حالة إحباط مستمرة!

نظرت إليه بمرارة وقد حل الغضب مكان التسامح:

ـ أوه.. لا.. بالطبع لا.. لقد نسيت.. أنت معتاد على ردات فعل مختلفة تماماً!

رد بوحشية:

ـ أجل.. هذا صحيح.

ثم استدرك قائلاً:

ـ من الأفضل أن أذهب.. عليّ أن أتمم بعض الأعمال قبل الذهاب إلى النوم.

استدارت ماندي غير راغبة في أن يرى العذاب الذي سببته لها كلماته.. وسمعت صوت القفل والباب ينغلق خلفه، فرددت من بين أنفاسها: تباً.. أوه.. تباً! وركضت إلى غرفة نومها ترمي نفسها فوق السرير.. الأشياء التي يجب أن تفعلها مثل إفراغ الحقيبة والقيام ببعض الأعمال المنزلية التي لم تقم بها منذ ذهابها إلى نيوكاسل، نسيتها تماماً واستسلمت لحاجتها إلى التعبير عن الألم في داخلها.

من الطبيعي أن تكون ماندي قد أمضت ليلة قلقة.. ومن الطبيعي أكثر أن تغط في النوم صباحاً، فعندما فتحت عينيها المرهقتين لتقدّر بنعاس كم هي الساعة، وجدتها قد تجاوزت التاسعة صباحاً وأشعة الشمس تتسلل بقوة عبر شقوق الستائر.

شهقت وهي تكافح لتجلس ثم خرجت من السرير وسمحت لنفسها بإلقاء نظرة سريعة على صورتها المنعكسة في المرآة.. كل ما رأته كان هالات سوداء حول عينيها دليل ليلة مضطربة أمضتها، ولم تجد شيئاً مغرياً في وجهها فأجبرت نفسها على التحرك نحو الحمام.. عندما خرجت والمنشفة حولها، تمكنت من ارتداء ملابسها بسرعة قياسية.. وعندما تركت غرفتها نحو المطبخ لتحضير فطور سريع.. أحست أنها مستعدة لمواجهة العالم.

* * *

رن جرس الهاتف الداخلي في مكتب أليوت في الوقت الذي كان يضع فيه الأوراق التي سيحتاجها داخل حقيبة أوراقه.. للحظة توترت أعصابه من إمكانية أن تكون المتصلة ماندي.. لكنه تذكر كيف خرج من شقتها ليلة أمس، وصرف النظر عن الفكرة.. لديه الآن رحلة إلى نيويورك يهتم

بها في الوقت عينه الذي يحتاج فيه إلى وقت للتفكير.

التقط السماعة يقول بدون حماس: «نعم».

وتنهد لسماع صوت خطيبته:

ـ حبيبي! أنا في الأسفل. أعرف أن الوقت متأخر.. لكن كان عليّ أن أجيء لأعتذر.. اضغط زر باب المصعد حبيبي، فأنا أنتظر في الأسفل.

رد أليوت رداً إيجابياً وضغط الزر الذي يسمح للمصعد الخاص بالصعود إلى الطابق الثاني والعشرين.. ثم أقفل حقيبة أوراقه وترك مكتبه متجهاً نحو باب شقته.

برزت أنجيلا ضمن غمامة من العطر الفرنسي: «حبيبي!».

ثم أردفت:

ـ أوه حبيبي.. أنا آسفة جداً لأنني لم أكن في المنزل ليلة أمس كما وعدتك.. لكنني أمضيت وقتاً رائعاً في باريس!

رسم أليوت ابتسامة باهتة على شفتيه وهي تسير أمامه متهادية بمعطف فرو أنيق باتجاه غرفة الجلوس، وهناك وقفت ثم خلعت المعطف ورمته بدون اكتراث إلى الأريكة.

قالت بلهفة:

ـ أعرف أنك غاضب مني حتماً.. عندما وصلت منذ ساعة لم تستطع السيدة موركير الانتظار لتخبرني أنك انتظرتني في شقتي.. لكن.. كان من المستحيل علي أن أصل بالأمس.. كان هناك حفل استقبال أمسية البارحة وأند.. أعني أن جميع المشترين بقوا لحضوره.

زفر أنفاسه ودس يديه في جيبيه، يلوم نفسه لأنه لم يسافر إلى نيويورك في طائرة الليل بعد خروجه من منزل ماندي بالأمس، وسأل:

ـ استمتعت بوقتك كما أعتقد.

ـ أوه.. بشكل رائع... أمضيت وقتاً مرحاً جداً! ولست أدري لماذا لم أذهب إلى هناك من قبل.

هز أليوت رأسه: «حسناً.. عظيم».

تنهدت أنجيلا تسأل:

ـ وماذا عنك؟ أعتقد أنك أمضيت نهاية أسبوع سيئة! هل ذهبت إلى ستونور؟ طبعاً فعلت!

ـ أجل.. هل تودين شراباً؟

أعطاها كوباً، وصب لنفسه فنجان قهوة.

جلس على الأريكة المقابلة، وجاهد ليفكر في شيء له علاقة بهما ليقوله.. لكن الصداع الذي لازمه طوال النهار عاد الآن ليضرب صدغيه.. ووجد صعوبة كبرى في التحدث مع أنجيلا في وقت تفكيره مشغول في مكان آخر.

أخيراً قالت تحمله على الكلام:

ـ إذن.. كيف كانت عطلتك؟

ـ أوه عظيمة!..

ـ وأمضيت ليلة أمس في الشقة؟ كنت سأتصل بك لو عرفت.. لكنني اتصلت بستونور واتصلت بشقتك هنا ولم أجدك.. ونسيت أن ليلي كانت تقضي إجازتها عند أمها.

ـ لا يهم.

وتساءل في نفسه كيف كان سيبرر عدم رده على اتصالها لو أنها اتصلت بشقتها.. وفكر غاضباً.. يجب أن يشعر بالارتياح بدلاً من تمزيق نفسه لأجل امرأة لا تهتم ما إذا كانت ستشاهده مرة أخرى أم لا؟

لاحظت أنجيلا على غير عادتها دلائل التوتر على وجه أليوت:

ـ ألمة خطب ما؟

تركت مقعدها لتجلس بقربه وتمتمت:

ـ حقاً أنا آسفة بخصوص ليلة أمس.. لكن يجب أن تعرف، كان هناك رجل فرنسي رائع، اسمه أندريه، ولقد سمحت له أن يصطحبني إلى العشاء، لكن هذا كل شيء.

أدار أليوت رأسه نحوها: «وهل يروق لك؟».

ـ أعتقد هذا.

ـ إلى أي حد؟

ـ حبيبي.. كان مجرد.. صديق فقط.. أخبرتك بهذا.. ولا داعي للقلق..

تمتم شاتماً.. ووقف ليصب المزيد من القهوة لنفسه.. الواقع أنه كان يريدها أن تقول إنها خائنة.. وربما حينها يستطيع أن يبرر تصرفه.. كان انجذابه إلى ماندي يزيد في عذابه وكأنه حمى لا يستطيع السيطرة عليها في دمه.

ـ أليوت حبيبي.. أنت لا تغار. أليس كذلك؟ أنت تعرف أنك لست مضطراً لهذا.

ـ أنا لا أغار..! أرجوك أنجيلا..

ابتعد عنها:

ـ اسمعي.. يجب أن أخبرك أنني مسافر إلى نيويورك في الصباح.. أنا آسف، لكن الأمر طارئ.. ولا أعرف متى أعود.

ـ نيويورك؟ لست جاداً! تعرف أن يوم مولد أبي يوم الأربعاء.. وماذا عن حفل العشاء؟ لقد وعدت بالمجيء!

لا يروقه هذا الحديث أبداً..

ـ أنا آسف.. لقد طرأ أمر لم أتوقعه.. ويجب أن أذهب بنفسي، وعدت أبي بهذا.

ـ وعدك لأبيك أهم من وعدك لي..

ـ آنجي.. إنه يوم مولد والدك فقط.. أما سفري فمهم جداً!

نفخت بغضب:

ـ يوك مولد أبي مهم.. حباً بالله، ألا يمكنك إرسال شخص آخر بدلاً منك؟ كنت تقول دائماً إنك تستطيع إرسال من ينوب عنك.

ـ ليس في هذه المسألة بالذات. يجب أن أحضر اجتماع الممولين بنفسي.. بإمكانك المجيء معي لو أحببت.

هزت رأسها بغضب:

ـ لا.. شكراً لك.. أنا لا أحب نيويورك في أفضل الأوقات، ولا أنوي أن أخيب أمل والدي.

مال أليوت برأسه عنها، بكره الراحة التي غلفته لكلماتها.. لو أنه اعتقد أنها ستقبل لما عرض عليها السفر معه.. يا الله.. ماذا فعلت ماندي به؟ لماذا لا يستطيع أن يبعدها عن تفكيره؟

كأنما أحست أنجيلا بمزاجه المتقلب.. فتنهدت:

ـ أوه.. حسناً.. لا داعي للغضب.. لديك عملك ولدي عملي.

أخذت نفساً عميقاً وتابعت بحذر:

ـ إذن.. لن تمانع إذا لم أبق معك الليلة، أليس كذلك؟ أنا.. في الواقع متعبة. كانت نهاية أسبوع مرهقة.

كان أليوت يحاول إيجاد عذر ليبعدها، فتنفس الصعداء وقال بسرعة:

ـ أظن هذه فكرة جيدة.. فأنا مضطر لأن أذهب إلى المطار باكراً في الصباح.

ترددت أنجيلا.. قبوله المفاجيء لم يلق إعجابها، فقالت:

ـ أنا.. أستطيع البقاء.

لكن أليوت كان قد رفع معطفها من على الأريكة ليقول بصراحة:

ـ ليس الليلة آنجي..

وافقت على مضض.. فأردف:

ـ سأتصل بك غداً من نيويورك.. وحينما أعود، ربما سيكون لدينا وقت أكثر نقضيه معاً.

* * *

٧ ـ صداقة إلى حد الألم

مع انتهاء أيام العمل وحلول يوم الجمعة، كانت أعصاب ماندي في حالة رهيبة.

كان أسبوعاً محطماً للأعصاب.. كانت مجنونة بلا ريب لتوافق على الذهاب مع أليوت إلى منزله في ستونور.. ماذا لو أعاد التاريخ نفسه؟ ليس هناك فرصة في أن يشعر أليوت بالمسؤولية نحوها، وهي تشك في أن تراه مجدداً.

كان كل ما جرى غباء.. حماقة! لقد عرفت أي نوع من الرجال هو منذ بدأ في ملاحقتها، وبدلاً من الالتزام بمواقفها وإبقائه بعيداً، سمحت له أن يؤثر عليها.. لقد استخدم كل خدعة يعرفها لإقناعها بالذهاب إلى شقته الجميلة ومنزله في ستونور حتى أنه ادعى أنه يهتم بها.. في وقت لا يريد سوى أن يلهو معها، وهي لا تعرف الآن كيف ستتصرف.

ظنت في البداية أنها تريده.. لكن مع مرور يوم الثلاثاء والأربعاء بدون أي اتصال منه.. تمكنت من إقناع نفسها بأنها سعيدة لانتهاء كل شيء. فعلاقتهما لم يكن لها أي مستقبل، وكانت تعرف هذا.

لكن مع مرور الخميس ثم الجمعة، واضطرارها إلى مواجهة واقع أن علاقتهما القصيرة قد انتهت فعلاً، غمرها إحباط ويأس كبير.. لا فائدة من الإدعاء لنفسها أكثر من هذا... إنها لم تكن وما كانت يوماً ذلك النوع العابث من الفتيات.. قد يكون صغر سنها السبب في تعلقها بهايد ثم زواجها منه، ولقد دفعت الثمن غالياً.. لكن ما من مبرر لهذا مع أليوت..

إنها الآن امرأة ناضجة ولم تعد طفلة، ولا تستطيع أن تواسي نفسها بالطيش الطفولي.. فهي تعرف تماماً لماذا تصرفت هكذا معه.. وتعرف لماذا انجذبت إليه.. وبالرغم من حذرها، وقعت تحت تأثير سحره.. ولا يمكن لأي نوع من التبريرات أن يقلب هذا الواقع.

بالطبع كل ما حدث خاطىء وجنوني... فحتى بدون وجود خطيبته المناسبة له جداً، لم يكن أليوت ذلك النوع من الرجال الذي يمكنها أن ترتبط معه بشكل جدي.. الهوة بينهما واسعة جداً.. كانت بالنسبة له تسلية من نوع جديد.. وهذا كل شيء.. والذنب الذي تحسه نحو أنجيلا لم يكن ليعوضها عن فظاظة هجره لها.

قال السيد كراون بعد ظهر يوم الجمعة، وهو يدخل إلى مكتبها بينما كانت تنظف طاولتها:

ـ لا تبدين بحالة جيدة.. هل ستذهبين شمالاً هذا الأسبوع؟ إذا لم تذهبي فنصيحتي أن تستريحي في اليومين القادمين.

كانت ابتسامة ماندي ضعيفة وباهتة:

ـ لن أذهب شمالاً.. وعلى الأرجح سآخذ بنصيحتك. أشعر وكأن الطقس يؤثر علي.

ـ لقد عرفت هذا.. وقلت لسيل يوم الأربعاء إنك تبدين على غير طبيعتك.

ـ أنا واثقة أنني سأتحسن.. إذا كان هذا كل شيء اليوم فسأذهب الآن.. عليّ أن أشتري بعض الأغراض من السوق وأنا في طريقي إلى المنزل.

ـ طبعاً.. طبعاً.

تراجع السيد كراون بأدب وارتدت ماندي سترتها ثم قالت بلهجة حاولت أن تجعلها مرحة:

ـ أراك يوم الاثنين.

هز رئيسها رأسه متفهماً وهي تختفي خارج الباب.

لم تكن فكرة شراء الطعام تروق لها، لكن عليها أن تأكل إذا أرادت أن تعيش خلال هذه المحنة الحالية. اشترت بعض اللحم للعشاء ورغيف خبز وبعض الجبن، وقررت تأجيل تسوقها إلى الغد ثم انطلقت إلى موقف الباص.. كان يمكنها أن تسير.. وتحسست جيبها بحثاً عن قطع نقود صغيرة.. لم تكن تحس أن لديها الطاقة للسير وأسندت نفسها إلى عمود لوحة المحطة آملة ألا تضطر إلى الانتظار طويلاً.

أجفلتها مقدمة اللامبرغيني السوداء اللامعة وهي تتوقف أمامها.. وجف فمها حين فتح أليوت النافذة وقال بخشونة: «اصعدي!».

لم يكن لديها الكثير من الوقت لتفكر بتصرفاتها.. فتحت الباب وصعدت في المركبة وانطلق أليوت بسرعة من دون قول كلمة.

ظنته سيأخذها إلى المنزل، لكنه تجاوز منعطف «كليفتون غايت» وأكمل طريقه ثم اتجه نحو حدائق فندق صغير.

أطفأ المحرك واستدار في مقعده نحوها لكنها بقيت تنظر أمامها متعمدة.. لم يكن لديها فكرة عن سبب مجيئه ليأخذها.. ولن تستطيع فهم دوافعه.. وبالرغم من جاذبيته التي لا تقاوم، رفضت ماندي الاستسلام.

سأل: «هل أنت جائعة؟».

هزت كتفيها:

ـ لدي بعض اللحم والجبن لعشائي.

ـ هل أنت غاضبة مني؟ هل ظننت حقاً أننا لن نرى بعضنا مرة أخرى..؟

هزت رأسها:

ـ لا داعي لأن أظن شيئاً.. أليس كذلك؟ عليّ فقط أن.. أطيع.

ـ أوه.. حباً بالله!.

أحس بالتوتر ثم سأل بوحشية:

ـ ماذا تظنين أيتها الحمقاء؟ كنت في نيويورك وعدت لتوي من

هناك.. اعتقدت أن ابتعادي سيعطينا فرصة للتفكير.. لكن تباً! أنا لم أقصد أن أهين كبرياءك!

نظرت ماندي إليه ورددت بضعف: «نيويورك؟».

هز رأسه إيجاباً:

ـ كان عليّ أن أحضر مؤتمراً خطط له والدي، ووصلت إلى لندن هذا الصباح.. أخذت دوشاً وبضع ساعات راحة ثم جئت لأقابلك.. ولسوء الحظ، كنت قد غادرت العمل ساعة وصلت.

رطبت ماندي شفتيها: «غادرت مبكرة...».

ـ هذا ما قاله لي رئيسك.

ـ أنت.. تكلمت مع السيد كراون؟

لانت ملامحه، ونظر في عينيها:

ـ رجل مسن مثقل بالمشاكل؟ يا إلهي.. كم اشتقت إليك!

دهشت ماندي: «أليوت..».

ـ اصمتي.. هل تسمحين؟

ولم تستجب لطلبه بل سألت بخشونة:

ـ ما العذر الذي أعطيته لأنجيلا بخصوص وجود سيارتك أمام برايتون هاوس في غيابها؟

تعمدت أن تثير اسم خطيبته بينهما، ونظر أليوت إليها باكتئاب قبل أن يسوي جلسته في مقعده.. ورد بخشونة مماثلة:

ـ لم أكن مضطراً إلى إعطائها أي عذر.. فهي لم تصل من باريس قبل يوم الاثنين، وافترضت السيدة موركير أنني كنت أنتظر في الشقة العليا.

ابتلعت ماندي ريقها:

ـ هكذا إذن.. إنه لأمر مناسب حقاً!

اتسعت فتحتا أنفه!

ـ أجل.. أليس كذلك؟ أنا محظوظ.

سألت بحذر:

ـ حسناً.. أين ستذهب الآن؟ لترى أنجيلا؟

زفر أنفاسه متعباً:

ـ وهل هذا محتمل؟.. في الواقع أنجي لا تعرف بعودتي.. بالنسبة لها أنا لا زلت في نيويورك! هل يرضيك هذا؟

أطرقت ماندي رأسها:

ـ إذن، أين ستذهب؟

ـ فكرت في أن أذهب شمالاً.. لكن بما أنك اشتريت اللحم والجبن للعشاء، فلا أظن أنك خططت لهذا.

شهقت:

ـ وهل توقعت حقاً أن تذهب إلى نيوكاسل؟

ـ للقاء ساري؟ أجل.. ولمَ لا؟

ـ أنت مجنون!

ـ مجنون بك..؟ أجل.. لنذهب إلى نيوكاسل ماندي.. دعينا نقضي نهاية الأسبوع معاً. وأعدك أن أكون عاقلاً إذا توقفت عن استفزازي!

أطرقت رأسها مجدداً: «لا نستطيع..».

ـ لماذا لا نستطيع؟

ـ لم أحضر حقيبتي ولا نستطيع الذهاب إلى الشقة..

ـ سنشتري فرشاة أسنان.. وماذا أيضاً؟

ـ لم أعلم أمي.

ـ اتصلي بها.

ـ وماذا أقول؟

ـ قولي لها إن صديقاً عرض عليك أن يوصلك بسيارته لقضاء عطلة الأسبوع، وأنت لا تريدين أن ترفضي العرض.

أدركت أنها على وشك أن تسمح له بأن يقنعها، فهزت رأسها بعناد:

ـ لا أستطيع.

ـ ولمَ لا؟

ابتلعت ماندي ريقها:

- لأنك لا تهتم.. أليس كذلك؟ لا تهتم بأحد سوى نفسك.. فطالما تحصل على ما تريد، أنت لا تهتم أبداً!

مد يده يذلك عضلات عنقه:

- أجل.. أنت محقة.. أنا عديم الأخلاق كلياً. سآخذك إلى الشقة.. وأستطيع القول لآنجي إنني التقيتك في الطريق فأوصلتك.

كانت ماندي تتوقع نقاشاً آخر لذا أحست بتقلص في معدتها وهو يتكلم هكذا.. وترك اعترافه اللامبالي يصدق كلامها إحساساً بفراغ كبير في نفسها..

قالت بمرارة مخنوقة:

- الأمر سهل عليك.. أليس كذلك؟ توصل البديلة، وتلتقي بالأصيلة! ولا تكون خاسراً في كلا الحالتين!

النوت شفتاه وهو يدير المحرك: «أهذا ما تظنينه؟».

- هذه هي الحقيقة.. أليس كذلك؟

أطلق أليوت شتيمة بشعة لا مجال لأن تخطىء ماندي فيها.. وأطفأ المحرك مجدداً ثم نظر إليها بغضب قائلاً:

- أتريدين حقاً معرفة الحقيقة؟

ارتجفت بسبب الغضب الظاهر على وجهه:

- الحقيقة أنني لم أتمكن من النظر إلى أنجيلا منذ أخذتك إلى شقتي.. وتقولين إن الأمر سهل علي؟ حسناً.. صدقيني.. إنه ليس سهلاً! سأعترف لك الآن بأنني كنت أظن أنني أشعر بالإشفاق عليك وخدعت نفسي بإمكانية أن نصبح صديقين! صديقان؟ كلمة لا تملأ رأسك لتشمل كل شيء.. وكل إنسان آخر! الصديق لا يبقيك مستيقظة نصف الليل مع نوع من الألم لم أحس بمثله منذ كنت فتى في المدرسة! لقد تملكتني حاجة ملحة إليك.. وهذا تعقيد آخر كنت في غنى عنه..!

ارتجفت ماندي:

- أنا لم أطلب منك أن...

- تباً! أعرف هذا! لكن يجب أن تعرفي ماهية شعوري!

مرر يده في شعره واسودت عيناه:

- والآن.. هل أعيدك إلى الشقة؟

حركت ماندي رأسها بعجز من جانب إلى آخر.

- أوه أليوت! ماذا أستطيع أن أقول؟

- بإمكانك قول الحقيقة.. أنت لا تريدين تركي بقدر ما لا أريد أنا تركك، فهل أنا على حق؟

أغمضت ماندي عينيها أمام نظرة التملك في عينيه.. ثم هزت رأسها ببطء:

- سأتصل بأمي.

دهشت السيدة كالدر عند سماع حديث ابنتها وسألت باحتجاج:

- لكن من هو هذا الرجل الذي تأتين به لقضاء نهاية الأسبوع معك؟ أنت لم تذكريه من قبل.. هل تعرفينه منذ زمن طويل؟ أيعمل في المؤسسة معك؟

- أعرفه منذ شهر تقريباً.. ولا.. إنه لا يعمل في المؤسسة.

- بماذا يعمل إذن؟ وأين التقيت به؟ ماندي، يجب أن تكوني أكثر صراحة.. أعني ماذا تعرفين عنه؟ وهل أنت واثقة أنك تريدين أن تأتي به إلى هنا؟ ماذا عن ساري؟

- إنه محترم جداً أمي حقاً.. سيعجبك.

- لكن بماذا يعمل؟

ترددت ماندي:

- إنه رجل أعمال يملك شركة.

بدا التأثر في صوت الأم:

- يملك؟ حسناً.. يبدو أفضل بكثير من هايد آبكوت!

- لا شيء كهذا أمي.. نحن مجرد صديقان. هذا كل شيء؟

سألتها الأم بنفاد صبر:

ـ لماذا تأتين به إلى هنا إذن؟

ـ لمقابلة ساري.. يجب أن أنهي المكالمة أمي. لقد نفدت مني القطع النقدية.

ـ انتظري لحظة! هل نسيت أن الليلة هي موعد السهرة مع نسوة البلدة.. أعني أنني ألغي الموعد حينما تأتين إلى المنزل، لكنك لم تعطني أي إنذار هذه المرة.

ـ لا بأس في هذا أمي.. ستبقى كوزي مع ساري أليس كذلك؟ قولي لها إننا سنصل بعد العاشرة.

كان أليوت ينتظر في المطعم، وسأل: «هل اتصلت».

هزت رأسها:

ـ إنها ليلة سهرتها مع النسوة.. ألا تخشى أن يعرفك أحد؟ أنت شخص معروف!

رد ساخراً:

ـ شكراً لك.. لكنني لا أهتم لهذا الآن.. ماذا ستأكلين؟

سألت مقطوعة الأنفاس:

ـ ماذا.. ستأكل أنت؟

وتشاورا في لائحة الطعام لبضع لحظات. ثم قال أليوت بهدوء بعد أن دوّن الساقي طلباتهما:

ـ أخبريني شيئاً عن آبكوت.. زوجك السابق.

رفعت كتفيها: «لا شيء يقال».

ـ لا تقولي هذا.. لماذا تزوجته؟ أكان يحبك؟ أين هو الآن؟ أريد أن أعرف.

أطرقت ماندي رأسها:

ـ تزوجته لأنني كنت صغيرة ومفتونة به، كنت في التاسعة عشرة وكان في الواحد والعشرين.

احمر وجهها وهي تشعر بنظرته إليها: «تابعي».

ارتجفت ووضعت يديها في حجرها:

ـ ماذا أقول بعد.. كان قد مضى علي سنة في الجامعة، وكانت كل صديقاتي يعتقدن أنني متزمتة.. ثم بدأ هايد يدعوني إلى الخروج معه في عطلات الصيف.. كان شاباً شهيراً وأنا ساذجة جداً.. فهل يجيب هذا على سؤالك؟

تنهد أليوت: «هل أحببته؟».

ـ ظننت أنني أحببته.. لكن.. لكنني لم أعد أطيق رؤية وجهه.

ـ ولمَ لا؟

ـ أوه أليوت.. هل يجب أن أشرح لك؟

ـ حسن جداً.. ماذا حدث بعد هذا؟

ـ لم ترض أمي بزواجنا.. وأصيب أبي بالمرض.. كان هذا منذ زمن بعيد.

ـ وتزوجتما.

ـ أجل.. تزوجنا.. وأعطاني أبواي ما يكفي لدفع الدفعة الأولى لمنزل صغير قرب عمله في مصنع إليكترونيات..

ـ وماذا حدث؟

ـ لم.. نكن متوافقين.

ـ أتعنين أنه التقى بامرأة أخرى؟

ردت بتعاسة:

ـ أكثر من واحدة، وأعتقد أنني السبب في هذا، فأنا لم أكن في مستوى توقعاته مني.

ـ وماذا يعني هذا؟

ـ أليوت.. كفى! لا أستطيع أن أكلمك عن مثل هذه الأمور.

ـ لماذا لا؟

ـ لأنها.. شخصية.

نظر أليوت إلى وجهها المستدير عنه للحظات ثم قال بنعومة:

ـ أظنه كان يتهمك بالبرودة.. هه؟

انفرجت شفتا ماندي وأدارت عينين مرتبكتين إليه.

ـ وكيف عرفت؟

ـ إنه العذر المعتاد لخيانة الرجل.. حسناً.. سؤال واحد أخير.. أين هو الآن؟

ـ لست متأكدة.. لقد ترك نيوكاسل بعد انفصالنا.. وسمعت أنه انضم إلى البحرية.. لكنني لست متأكدة.. فهو لم يكتب إلينا البتة ولم يتصل.. وأشك في أن تتذكره ساري.

أطرق رأسه:

ـ لا أستطيع القول إنني آسف.

لامست ابتسامة خفيفة شفتيها: «لا.. ولا أنا».

عندما صعدت إلى اللامبرغيني ثانية، أحست ماندي بوخزة ندم مؤقتة للسهولة التي قبلت فيها ترتيباته. المشكلة أنها كانت تشعر دائماً بالراحة معه... وكان هذا بحد ذاته أكثر ما يقلقها ويحثها على وجوب الاستمرار في مقاومة جاذبيته.. وعليها دائماً أن تتذكر أنه سيتزوج من أخرى.. وأنه مهما انجذب إليها فأنجيلا سيمور كبلر هي التي ستصبح السيدة أليوت فرايزر في النهاية.

أيقظها أليوت وهما يدخلان إلى ضواحي مدينة نيوكاسل.. وسأل مبتسماً:

ـ من أي طريق؟

كانا يقطعان جسر «تابان» وجلست ماندي متثاقلة في مقعدها لتدله على الاتجاه بسرعة.. وصلا في الساعة العاشرة إلا ربعاً وتوترت أعصاب ماندي وهو يوقف سيارته أمام منزل أمها نصف المنعزل. وعت تماماً ما قد تكون ردة فعله حول ما يحيط به. وكما في المرة الأولى التي دخل فيها إلى شقتها كانت تحس برغبة مؤلمة في أن تدافع عن بيتها.

سألها وهو ينظر إلى الطريق القصيرة نحو المرآب.

ـ أتريدين أن أترك السيارة هنا؟

ـ ربما.. للوقت الحاضر.. أمي في الخارج الآن، وحينما ترجع ستضع سيارتها في الكاراج. بعدها يمكنك إيقاف السيارة أينما تشاء.

ابتسم وفتح لها الباب:

ـ حسن جداً.. أنت تعتقدين أنها ستسمح لي بالبقاء إذن؟

ـ أنت هنا.. أليس كذلك؟ تعال! تنتظرنا جليسة ساري في الداخل.

لم تستطع ماندي لوم كوزي تراڤلر على اتساع عينيها المهتمتين الذي تلا فتحها للباب.

ـ مرحباً ماندي.

وتنحت جانباً لتدخلهما إلى الردهة.. كانت كوزي في السادسة عشرة وأكثر تجربة مما كانت ماندي في مثل هذا العمر، ولهذا لم تخفِ نظراتها المعجبة بوضوح بأليوت:

ـ أخبرتني أمك أنك قادمة.. هل كانت رحلتكما جيدة؟

قالت كل هذا وعيناها مثبتتان على أليوت. وأحست ماندي أن صبرها بدأ ينفد.

ـ كانت رحلة لطيفة.. شكراً لك.. أليوت هذه كوزي.. إنها تعيش في الجوار.

كالعادة كان يبدو مرتاحاً جداً:

ـ مرحباً كوزي.. هل من مانع في أن أعلق سترتي هنا؟

وكأنه زائر دائم، علق سترته ولحق بالفتاتين إلى غرفة الجلوس حيث كانت ألسنة نار الحطب المشتعل تتصاعد في المدفأة. قالت ماندي باختصار:

ـ سأنظف المكان.

أجفلت الصغيرة بسبب الفوضى التي تعم غرفة الجلوس:

ـ إذا كنت مصرّة.

خلعت ماندي سترتها ورمتها إلى المقعد.. ثم وقفت تنتظر من كوزي التي تسمرت عيناها بأليوت أن تلملم أغراضها وترحل.

ـ أنا واثقة.. وشكراً.. على مجالستك ساري..

أحست كوزي برغبة ماندي في الخلاص منها.

ـ لا بأس في هذا. أراكما غداً.. أليوت..

ورفعت له رأسها فأدار اهتمامه عن التلفزيون ليرد بأدب.

أوصلتها إلى الباب وعادت لتجده واقفاً.. همس لها وهي تنظر إليه بارتباك:

ـ لا داعي لأن تشعري.. بالغيرة.. لقد أحسست بها.. أليس كذلك؟ يا إلهي! ماذا تظنينني؟

ـ يجب أن أنظف المكان..

وتقدمت إلى صينية شاي هناك فلحق بها. كان على وشك أن يهمس لها شيئاً مجدداً حين سمعت ماندي صوت ابنتها، وابتعد عنها على الفور تقريباً مع دخول ساري إلى الغرفة لتصيح بغبطة غير مصدقة: «مامي!».

سارت حول الأريكة نحوهما، وصاحت مرة أخرى: «مامي!».

ورمت نفسها بين ذراعي أمها:

ـ لم تخبرني جدتي أنك قادمة!

ـ لم تكن جدتك تعرف.. أنا بنفسي ما كنت أعرف حتى بعد الظهر.. لقد تلطف السيد فرايزر بإيصالي.

ابتعدت ساري عن أمها لتنظر إلى أليوت الواقف صامتاً إلى جانبهما، وقالت بوجه جاد:

ـ هل أنت السيد.. فراز.. فرايزر؟

انحنى أليوت كي تستطيع الصغيرة رؤية وجهه بشكل أفضل وقال بلطف:

ـ اسمي أليوت.. هذا إذا استطعت أن أناديك ساري طبعاً. وليس الآنسة آبكوت.

صاحت وهي تنظر إلى أمها:

ـ لا أحد يدعوني الآنسة آبكوت.. هل أستطيع فعلاً أن أناديك أليوت؟

ـ أتريدين هذا؟

هزت رأسها.

ـ إذن نادني أليوت.

وأدركت ماندي أنه تغلب على دفاعات الفتاة بدون أن تدرك هذا.

سألته ساري: «ألديك سيارة؟».

استقامت ماندي محاولة استجماع نفسها.. وقالت:

ـ ليس الليلة ساري.. يجب أن تكوني في السرير نائمة، لا أن تتسللي وتنزلي لتطرحي الأسئلة.

ـ أوه.. لكن أليوت لن يكون هنا غداً.

تنفست ماندي بعمق:

ـ بلى.. سيكون هنا.. سيقضي عطلة الأسبوع معنا. و.. سيخبرك كل شيء عن سيارته غداً.

ـ وسآخذك في نزهة فيها كذلك.. أنت ومامي معاً. ما رأيك؟

بدت الإثارة على الصغيرة:

ـ حقاً؟ غداً؟ ستنام هنا في منزلنا؟

ـ إذا استطاعت أمك أن تجد لي فراشاً.

تصاعد الاحمرار إلى وجه ماندي مرة أخرى.

صفقت ساري يديها معاً:

ـ أنا لن أنام أبداً.. أتعرف هذا. أنا لا أنام وهناك شيء مثير سيحدث.

قالت ماندي:

ـ إذن يجب أن تستلقي في السرير مستيقظة، الآن قولي تصبح على خير لـ.. لأليوت.. سترينه ثانية في الغد.

كانت ساري كارهة أن تستقر في السرير، لكن توقع الوعد بالنزهة في اليوم التالي أقنعها كما هو ظاهر بأن تحسن التصرف. . وتمتمت بينما ماندي تشد الغطاء من حولها:

ـ إنه لطيف. . أليس كذلك مامي؟ أعني أليوت. هل ستتزوجينه؟

أجفلت ماندي:

ـ أتزوجه؟ لا تكوني سخيفة ساري!

ردت بغضب:

ـ لست سخيفة. . لقد قالت خالتي مايف إن الوقت حان لتفكري في الزواج ثانية. . قالت إن ليس من العدل أن تتوقعي من جدتي رعايتي طوال الوقت.

كرهت لسان زوجة أخيها المتهور، وقالت بحدة:

ـ حسناً، ليس هناك فرصة كي أتزوج السيد فرايزر. . . نامي الآن حبيبتي. . يمكننا التحدث في الغد، ولا تنهضي من السرير حين تعود جدتك، فهي لن تكون مسرورة بهذا. .

في الأسفل وجدت ماندي أن أليوت اكتشف مكان المطبخ بنفسه ورمى بقايا ما كانت كوزي تتناوله في صندوق القمامة. . قال مبتسماً عند رؤيته الدهشة على وجهها:

ـ أترين. . أنا معتاد على الحياة المنزلية. . وهذا ما تعلمته من التربية الإيرلندية حتماً. .

هزت رأسها:

ـ أنت فاسد ولا سبيل إلى إصلاحك.

جفف يديه وتقدم إليها:

ـ وأنت جميلة. . متى ستعود أمك؟

ردت بغير ثبات:

ـ في أي لحظة.

وسمعت صوت مفتاح الأم في القفل فتحركت مع أليوت ووقفا في

باب غرفة الجلوس. . والتقطت السيدة كالدر نظرة ابنتها بسرعة قبل أن تنقل اهتمامها إلى رفيقها.

ـ سيد. . فرايزر. . أليس كذلك؟ أنا والدة أماندا. السيدة كالدر. . أرجو أن تكون قد رحبت بك في منزلنا.

ـ أنا مبتهج لوجودي هنا ولمقابلتك سيدة كالدر، وأرجوك، اسمي أليوت. . عندما يدعوني أحد بالسيد فرايزر أشعر وكأن أبي هنا.

ابتسمت السيدة كالدر، لقد أعجبت على ما يبدو بمجاملته السهلة وسألت:

ـ هل وصلتما باكراً؟ أين هي كوزي؟ أرجو أن تكوني أرسلتها إلى منزلها.

أخذت ماندي معطف أمها بعد أن قبلتها وعلقته في غرفة الملابس:

ـ أجل. . لقد أرسلتها. هل أمضيت أمسية جيدة؟

ردت:

ـ كانت أمسية رائعة، أعدي لنا القهوة ماندي. . أنا واثقة أن أليوت سيرحب بفنجان.

كانت ماندي مترددة في تركها مع أليوت لوحدهما. . لكن لا خيار لها. . فقد أحست أن أمها تعمدت هذا الطلب لتتحدث إليه بدون وجود ابنتها. . كتمت قلقها وأسرعت إلى المطبخ.

لكن ما كان هناك داع للقلق. . فحين عادت بعد ربع ساعة مع صينية القهوة والبسكويت، وجدت أمها وأليوت يتحدثان معاً بسهولة. . وبدت مخاوفها من دون أساس أبداً عندما التقت بنظرة أمها البريئة.

وقف أليوت عند دخول ماندي، ووضع طاولة القهوة المنخفضة قرب الأريكة كي تضع ماندي الصينية عليها. . ثم تقبل الفنجان منها بدون أن يُبدي ملاحظته للنظرة المتلهفة على وجهها.

قالت السيدة كالدر:

ـ كان أليوت يخبرني لتوه أنه قابل ساري. المشاغبة الصغيرة! لقد

تعمدت ألا أقول لها من اتصل كي تحسن التصرف.

قال أليوت متكاسلاً:

ـ أعتقد أنها سمعت أصواتنا.

ـ هذا ما أعتقده.. إنها تتطلع دائماً بشوق إلى زيارات أمها.. من المؤسف أن تضطر ماندي إلى العمل في مكان بعيد.. فالطفلة بحاجة إلى أمها.. أنا واثقة أنك توافق معي.

نظرت ماندي إلى أمها نظرة تفصح عما تريد قوله:

ـ أمي.. ! أليوت ليس مهتماً.. بمشاكلنا الشخصية.

لم تتراجع السيدة كالدر:

ـ أوليس مهتماً؟

احترق وجه ماندي وأضافت الأم:

ـ أنا واثقة أن أليوت يفهم الصعوبات الاقتصادية الحالية أفضل مما نفهمها نحن، وكرب عمل، لا شك أنه واجه عشرات المشاكل المماثلة.

قال أليوت:

ـ من المؤسف أن لا تستطيع ساري العيش مع أمها.. لندن ليست المكان المناسب لتربية الأطفال.. ليس وهناك بديل.

أدارت ماندي نظرة إحباط نحوه.. ثم سألته السيدة كالدر:

ـ أتعيش في لندن أليوت؟

وأرادت ابنتها أن تموت حرجاً.

ـ لدي شقة في المدينة.. لكنني أملك منزلاً في «أوكسفورشاير» وأنا أحاول قضاء قدر ما أستطيع من وقت هناك.

ـ أوكسفوردشاير؟ كم هذا جميل! كنت أقضي وزوجي العطلات هناك. كنا نقيم في «وودستوك» أتعرفها؟

ـ ذهبت إليها.. وآمل أن أقضي وقتاً أطول في استكشاف المنطقة في المستقبل.

ـ أنت إذن لست من تلك المنطقة؟

كتمت ماندي أنفاسها وتنهدت بنفاد صبر:

ـ أمي.. ما هذا؟ استجواب؟ أعتقد أنه علي إرشاد ضيفنا إلى غرفته، ألا تظنين هذا؟ لقد عاد لتوه من أميركا هذا الصباح وأنا واثقة أنه متعب.

قالت السيدة كالدر بدون تأثر: «رحلة عمل؟».

وقفت ماندي متعمدة وابتسم أليوت: «تقريباً».

وفعل كما فعلت ماندي.. ثم أضاف بأدب شديد:

ـ لطف كبير منك سيدة كالدر السماح لي بالإقامة هنا.. أنا فعلاً ممتن لك.

ـ هذا من دواعي سرورنا.. لقد جهزت لأليوت غرفة إدغار القديمة ماندي.. أظنه سيشعر بالراحة هناك.

تمتم أليوت وهما يصعدان السلم:

ـ من هو إدغار؟

ـ إنه أخي، إنه.. قد تقابله غداً، فهو يأتي أحياناً مع عائلته بعد ظهر السبت لشرب الشاي.

ـ سأتشوق إلى لقائه.. أيتها غرفتك؟

مدت يدها تشير:

ـ هذه غرفتي، غرفة أمي، وغرفة ساري.

وقادته إلى الباب الأبعد عن السلم..

ـ وذلك هو الحمام.. آسفة، لكنك ستضطر إلى مشاركته معنا إذ لا يوجد سواه.

ـ أعتقد أنني سأعيش.

ولحق بها إلى غرفة أخيها القديمة.. كان لا يزال فيها ملصقات لكرة القدم على الجدران وصور لإدغار وهو لا يزال عضواً في فريق المدرسة، لكن الغرفة كانت دافئة مريحة، وعلى ضوء المصباح الخافت لم تبدُ مزرية.

قالت ماندي تشير إلى خزانة عند أسفل السرير:

- إذا لم تشعر بالدفء، ستجد بطانيات هنا. أمي لا تحب الأغطية القماشية.

أكد لها أليوت:

- بعد قضاء ليلة أمس في مقعد الطائرة، سيكون هذا السرير فخماً جداً أماندا، توقفي عن القلق بخصوصي.. أستطيع العناية بنفسي.. وهذا يشمل التعامل مع أمك أيضاً.

أطرقت رأسها:

- إنها ملحاحة بشكل رهيب.

همس لها بحنان بالغ:

- إنها أم.. والآن.. سأحضر حقيبتي من السيارة قبل أن أنهار.

• • •

٨ ـ أب مع وقف التنفيذ

استفاقت ماندي على صوت ابنتها تتحدث في الغرفة المجاورة.. للحظة، لم تع ما يجري ولم تتمكن من فهم سبب وجود ساري في غرفة إدغار. ثم تذكرت من يتواجد في سرير أخيها.. فاجتاحتها موجة ارتباك.

بالرغم من إرهاقها بالأمس فهي لم تنم جيداً. لقد استلقت مستيقظة لساعات طويلة بعد نوم الجميع. والآن يبدو أن ساري قد آلت على نفسها أن توقظ الضيف غير المتوقع.. وأدركت ماندي أنه لا يجوز ترك ابنتها تزعجه أكثر من هذا.. فخرجت من السرير على مضض وارتدت روباً صوفياً، ثم مررت أصابعها في شعرها تمشطه وسارعت إلى الغرفة المجاورة بدون أن تدري أنها تبدو أصغر عمراً وأكثر جاذبية.

كان باب غرفة إدغار مواربا، فدفعته ماندي: «ساري!».

علا وجه الفتاة الجالسة على حافة السرير تعبير ذنب وأمها تتقدم في الغرفة.

- لا بأس في هذا ماندي.. أنا لا أمانع.

نظرت إلى الرجل المستند بتكاسل على الوسائد. كانت سمرة بشرته بارزة جداً أمام بياض المفارش.. وعلقت أنفاسها في حلقها وقالت:

- إنها.. يجب ألا تكون هنا.. ساري، أنت تعرفين أنه من غير اللائق إزعاج الناس في مثل هذه الساعة من الصباح! إنها السابعة والنصف! يا الله! لم تستيقظ الجدة بعد!

احتجت ساري:

ـ لكن أليوت كان مستيقظاً . . أليس كذلك أليوت؟

هز رأسه:

ـ هذا صحيح . . كنت مستيقظاً وأنا آسف لأننا أزعجناك . . كانت ساري تخبرني كيف وقعت عن دراجة صديقتها.

ضغطت ماندي على شفتيها: «وإن يكن . . ».

قاطعتها ساري:

ـ هل أيقظناك مامي؟ لقد استيقظت منذ زمن طويل . . وعدني أليوت أن يأخذني في سيارته هذا الصباح . . لقد رأيتها من النافذة. إنها طويلة جداً . . ولمّاعة . .

ـ ساري . .

قال أليوت بسرعة يغمز لساري:

ـ أظن أنه من الأفضل أن تخرجا من هنا لأتمكن من ارتداء ملابسي . . نحن لا نريد مضايقة أمك ساري، أليس كذلك؟ فقد لا تسمح لك بالخروج معنا إذا غضبت!

نظرت ماندي إليه ساخطة . . لكن ساري نزلت عن السرير وتجاوزت أمها قائلة:

ـ سأذهب لأرتدي ملابسي . . هل أستطيع ارتداء بنطلوني الجديد؟

ردت ماندي:

ـ شرط أن تنظفي نفسك جيداً، وأسنانك أيضاً . . أتذكرين؟

ـ أجل مامي.

خرجت ساري تغمرها السعادة، وحاولت ماندي اللحاق بها لكن أليوت استوقفها قائلاً:

ـ هل قلت لك قبلاً إنك المرأة الوحيدة التي أعرفها وتبدو رائعة في الصباح؟

ردت بدهشة:

ـ هل لديك الكثير من الخبرة؟

قال بلهجة تواضع: «القليل».

كاد سحره يدمر كل دفاعاتها . . ولكنها رفضت الخضوع لتأثيره فيها.

تمتم بخشونة:

ـ أعرف . . أعرف! لا تستطيع . . لكن دعني أنظر إليك للحظات . . ما كان يجب أن أدعو نفسي وأقبل ضيافة أمك، ولا أريدك أن تظني أن هذا سبب مجيئي إلى هنا.

تنفست دونما ثبات:

ـ أوليس هذا هو السبب؟

رفع رأسه:

ـ أردت فقط أن أقضي عطلة الأسبوع معك. أنا أستمتع بمجرد أن أكون معك . . وأردت أن ألتقي بساري . . ولم يكن ذلك مجرد عذر.

ـ وأنا أردت رؤيتك طوال الأسبوع، وكرهت نفسي بسبب ما قلته لك ليلة الأحد.

تمتم:

ـ أتمنى لو كنت أعرف . . حينما سافرت من لندن صباح الثلاثاء أحسست بشعور رهيب في أعماقي، ولو كنت أعرف أنك لن تقفلي السماعة في وجهي لاتصلت بك ليلاً.

ـ أوه . . أليوت!

ـ أجل . . أوه أليوت! أظن أن من الأفضل أن تذهبي الآن . .

ـ ألن تنهض؟

ـ هل لديكم دوش؟

ـ أجل.

ـ عظيم . . هل أستطيع أن أستحم؟

كانت ماندي تساعد أمها في تحضير الفطور حين دخل أليوت إلى

المطبخ يرتدي بنطلون «جينز» بني وقميصاً قطنياً، وغاص قلبها في صدرها. يا الله.. كيف ستبقى حية عندما يتزوج أنجيلا؟

سألت السيدة كالدر:

ـ بيض ولحم أليوت؟

دخلت ساري إلى المطبخ متراقصة وقد سمعت وقع خطواته.. وأجاب:

ـ رائع.. شكراً.

أمسكت ساري يده ضاحكة وجرته نحو الباب قائلة:

ـ تعال.. أريد أن أريك كيف نلعب لعبة غزو الفضاء.. لقد اشترت جدتي اللعبة ليوم مولدي.. وأراهن أنني قادرة على الحصول على أرقام أعلى من أرقامك.

قال أليوت بمرح:

ـ وأنا أراهن أنك قادرة.. حسناً.. حسناً.. أنا قادم معك. لكن يجب أن تعطيني أكثر من فرصة بسبب قلة خبرتي.

قالت ماندي بارتياب: «ساري..».

لكن أمها لامست ذراعها، تقول بهدوء:

ـ دعيها وشأنها.. أليوت طيب جداً معها. ألم تلاحظي هذا؟ ظننت أن الحديث الذي تبادلاه باكراً سيوقظ الموتى.

وضعت ماندي أدوات الطعام على الطاولة وتمتمت:

ـ وهل سمعتهما؟

ـ وسمعت تدخلك.. يجب ألا تلومي ساري. لم يوجد في حياتها رجل يهتم بها من قبل.

ـ تعنين أب.. أليس كذلك؟ أمي.. أليوت وأنا.. لسنا.. جديين بخصوص علاقتنا ببعضنا.

نظرت إليها أمها بارتياب:

ـ أولستما هكذا؟ أتعنين أنه جاد.. وأنت لا؟

شهقت ماندي:

ـ لست أدري ماذا..

ـ بلى.. تدرين ماندي.. لقد رأيت كيف تنظرين إليه.. ورأيت كيف ينظر إليك.. يا إلهي.. إذا كان لرجل أن يصبح مجنوناً بامرأة، فأليوت مجنون بك!

أوقعت ماندي علبة الملح وصاحت بارتياع مع تبعثر ذراته على الأرض.. ثم تنهدت وهي تنحني لتنظفها قائلة:

ـ أنت مجنونة! وأتمنى أن تتوقفي عن تخيل الأمور.. أمي، لا تكادين تعرفين الرجل!

كسرت الأم البيض في المقلاة:

ـ أعرف ما أعرف.. ضعي المزيد من الخبز لتحميصه.. أيمكنك عزيزتي؟ وتذكري.. ليس كل الرجال مثل هايد آبكوت!

بعد الفطور أقل أليوت ماندي وساري إلى نيوكاسل لشراء بعض الأغراض للسيدة كالدر. أوقف السيارة في المجمع التجاري في «ايدن سكوير» حيث العديد من مخازن البيع.. وكان من السهل الحفاظ على نوع من التباعد معه بوجود ساري.. وإذا كان قد لاحظ محاولاتها الجاهدة لإبقاء الطفلة بينهما، فقد تجنب بكل أدب أن يعلق.. وأعطى وقته بكل كرم لساري يسمح لها أن تملي عليه أين يذهبون وماذا يفعلون.

بينما طافت ماندي في أقسام الطعام، اقترح أليوت أن يأخذ ساري إلى قسم الألعاب، ثم التقيا فيما بعد ليعودوا إلى السيارة. أخذ أليوت أكياس المشتريات من ماندي ولاحظت العلبة التي تخبئها ابنتها وراء ظهرها.. لقد اشترى أليوت لها شيئاً ولا يمكنها أن تعترض.. إنه ماله.. وعلى الأرجح لن يراها مرة أخرى بعد عطلة هذا الأسبوع.

دخلوا إلى المنزل وبدا من الواضح أن ساري تغلي إثارة.. وضع

أليوت الأكياس على طاولة المطبخ، وفتحت الفتاة علبتها ثم أعطت كيساً منفصلاً لأمها وهي تقول باهتمام كبير:

- هذا لك.

وتطلعت إلى أليوت الذي كان يهم بالدخول إلى غرفة الجلوس.

- لا بأس في أن أعطيه لأمي الآن.. أليس كذلك؟ قلت إنني أستطيع أن أفعل حين نعود إلى المنزل.

عضت ماندي على شفتها سخطاً:

- أليوت..

- خذيها.. إنها.. سمها عرفان جميل للسماح لي بقضاء عطلة الأسبوع هنا.

كانت ساري تتطلع إليها بعينين متسعتين، وأحست ماندي أنها مضطرة أن تفتح الكيس.. وفغرت فمها دهشة وهي تسحب الفستان الحريري منه.. كان من الكشمير الرائع، لونه مزيج من ألوان الذهب والبرونز يكاد يماثل لون شعرها.. له فتحة ياقة مثلثة، وتنورته طويلة.. كان أجمل فستان رأته في حياتها.. رفعت عينيها إلى أليوت بارتباك فقال دونما اكتراث:

- كانت البائعة من قياسك تماماً.. إذا لم يعجبك يمكنك تبديله.

صاحت ساري:

- لكنه يعجبك.. أليس كذلك مامي؟

أطرقت ماندي رأسها بحدة. وتمتمت:

- أجل.. أجل.. إنه جميل.. ولا أعرف ماذا أقول لك، أليوت.

وبدا واضحاً أنها تقاوم دموعها.

قال بهدوء: «قولي إنه أعجبك».

اقتربت منه ورفعت نظرها إليه: «يعجبني..».

ثم ابتعدت عنه فقال بنعومة:

- يمكنك ارتداءه الليلة عندما آخذك إلى العشاء.

سألت ساري:

- وهل سأذهب معكما؟

رد بابتسامة كسولة محاولاً ألا يخيب أملها:

- ليس هذه المرة.

وأخذ العلبة منها ليخرج ما في داخلها.

- من سيرشد سكوتر إلى مكان نومه إذا لم تكوني هنا لتعتني به؟

ووضع لعبة القط البرتقالي بين ذراعيها:

- قلت بنفسك إنه قد يشعر بالوحدة بسبب تركه القطط الأخرى في المحل.. ولن تخرجي لتتركيه. أليس كذلك؟ ليس في أول ليلة له في فراش غريب!

كان أليوت قد اشترى هدية للسيدة كالدر كذلك.. بروش لؤلؤي صغير سحرها بوضوح وقالت له أثناء الغداء:

- ما كان يجب أن تفعل.. حقاً.

وخشيت ماندي ما ستقوله أمها حين ترى الفستان.

كما توقعت ماندي، وصل إدغار ومايف والتوأمان بعد الظهر.. وقالت لها مايف:

- لقد اهتمت أمك كثيراً لقدومك بصحبة رجل.. ولم تستطع الانتظار لتتصل بنا.. لكن يجب أن أعترف أنه ليس ما كنت أتوقعه أبداً.. كيف التقيت برجل مثير مثله؟

- وماذا كنت تتوقعين؟ إنه ليس كهايد إذا كان هذا ما تعنينه.. وإن كانت أمي قد ألمحت إلى أننا.. مغرمان ببعضنا البعض، فانسي الأمر!

سألتها مايف بخبث:

- أتعنين أنكما.. لستما على علاقة جدية؟

سيطرت ماندي على احمرار وجهها:

ـ لا . . والآن، إذا كنت لا تمانعين . . سأعدّ الشاي!

كان هناك سبب آخر لمجيء إدغار ومايف بدا واضحاً فيما بعد . . فقد قالت مايف:

ـ لقد حصل إدغار على أربع بطاقات لمسرحية فكاهية ستعرض الليلة في مسرح «الرويال»، وتساءلنا أنا وإدغار ما إذا كانت ماندي و . . أليوت، قد يرغبان في الذهاب معنا.

تحمست السيدة كالدر:

ـ ما أروع هذا الأمر.

لكن قبل أن تستطيع ماندي أن تفعل أكثر من تبادل النظرات مع أليوت، كان لدى مايف ما تضيفه.

ـ المشكلة أن ليس لدينا جليسة للطفلين . . ونظراً لأنك تهتمين بساري، أمي، فهذا ما يصعب الأمور قليلاً.

لاحظ إدغار تعابير وجه شقيقته، وقال بنبل:

ـ يمكنكما أخذ تذكرتين على أي حال ماندي . . أعني، أذهبت أنا ومايف أم لا . . فليس الأمر مهماً . . حقاً.

ردت زوجته بحدة:

ـ يمكنك التحدث عن نفسك إدغار كالدر! أنا أتطلع شوقاً إلى سهرة في الخارج . . نحن لا نخرج كثيراً . . وليس لدينا مربية أطفال!

تمتم إدغار متجهماً:

ـ يكفي هذا مايف . . الواقع أننا كنا نتساءل ما إذا كان بالإمكان بقاء التوأمين هنا الليلة أمي . . أعرف أن لديك ضيوفاً، لكن إذا نامت ماندي معك في السرير، يمكن للتوأمين أخذ سريرها.

فكرت ماندي في ذلك المساء وهي تضع ظلال العيون: الموقف في غاية السخرية! إنها لا تريد الذهاب إلى المسرح وتشك في أن يكون أليوت راغباً . . لكنهما مضطران إلى الذهاب بسبب مايف والتذاكر.

كان التوأمان مزعجين كالعادة وجعلا ساري تبكي عندما أخفيا لعبتها

الجديدة في سلة الثياب المتسخة، ودفعا جدتهما إلى الجنون بركضهما المتوحش في المنزل . . في النهاية كان أليوت من سيطر على مشاغباتهما مهدداً إياهما بعقاب بدني إذا لم يحسنا التصرف أثناء وجوده وماندي في الخارج . . ثم عدل عن التهديد واعداً أن يأخذهما إلى منزلهما صباح الأحد باللامبرغيني إذا لم يزعجا أحداً.

قالت ماندي وهما في الطريق:

ـ ستكون أباً رائعاً في يوم من الأيام.

وكادت تعض لسانها لما يتضمنه كلامها من معانٍ . . ورد أليوت:

ـ هذا ما أرجوه . . والداي لا يطيقان انتظاراً للحصول على حفيد، ستناسبهما تماماً فتاة مثل ساري.

رطبت ماندي شفتيها وتمتمت:

ـ أشك في أن يوافقك الرأي.

ـ حسناً . . أعتقد أنهما سيفضلان أن أكون أنا الأب. وسيتركان أمر اختيار الأم لي.

اشتدت يدها على حقيبة اليد الصغيرة في حجرها وقالت بمرارة:

ـ لكن لن يفيدك أن تنجب لهما ولداً بدون رباط زواج . . أليس كذلك؟

ـ ماذا تحاولين القول؟

انفجر كل الإحباط المكبوت فيها:

ـ أنت لا تهتم أبداً . . أعرف أن من غير المتوقع لهم أن تتعلق بامرأتين في الوقت ذاته . . لكن الأمر لا يهمك لو حدث . . صحيح؟

أوقف أليوت السيارة والتفت إليها، يسأل بخشونة:

ـ لماذا تفعلين هذا؟ لماذا تقولين هذه الأشياء؟ من تحاولين أن تؤلمي؟ أنا؟ أم نفسك؟

أخذت ماندي ترتجف بعنف:

ـ أنا لا أستطيع أن أؤلمك . . أيمكن هذا؟ لن تسمح لهذا بأن يحدث.

ـ ماندي.. حباً بالله! لا نستطيع التحدث عن هذا الآن! ماذا تريدينني أن أقول؟

انسحبت إلى زاويتها من السيارة:

ـ لا شيء.. تابع سيرك، ستتأخر.

استدار مجدداً إلى المقود يديره وهو يتمتم شاتماً.. وساد صمت مطبق بينهما لما تبقى من الطريق..

برز فيما بعد سبب آخر جعل ماندي لا تستمتع بالأمسية، فقد اعترف إدغار خلال الاستراحة أن مايف هي التي أصرت أن تحصل على البطاقات.. وسألت ماندي:

ـ أتعني أنها ليست بطاقات دعوة؟

ـ أرادت مايف أن تسهر في الخارج.. وأنت تعرفين كم تكره أمنا المجيء إلى بيتنا لتجالس الطفلين.. وبدت هذه الفكرة الحل المثالي. وأنت تستمتعين بالمسرحية، أليس كذلك؟ أنا واثق أن أليوت يستمتع بها.. إنه شاب ممتاز وأنا معجب به جداً.

كان المفترض أن يكون كلامه نوعاً من الاعتذار.. لكن ماندي وجدت من الصعوبة أن تسامحه.. لكن بعد ذلك فكرت وهما عائدان أن إدغار لا يمكن أن يعرف مدى أهمية الوقت الذي تقضيه مع أليوت..

كان المنزل معتماً حين دخلا، لكن ماندي عرفت أن أمها لا زالت مستيقظة.. فهي دائماً تحب أن تطمئن بنفسها على عودة جميع من في المنزل سالمين وتتأكد من أن الأبواب موصدة قبل أن تنام.. وعندما كبت أليوت تثاؤبه، أدركت أنها نسيت وبكل أنانية كم هو متعب.

ـ أتريد شراباً ساخناً؟

ـ ليس الليلة.. هل ستظنين أنني فظ لو صعدت إلى غرفتي؟

كان الوقت متأخراً بعد ظهر الأحد حين تركا نيوكاسل أخيراً.. وبكت ساري كالعادة. وزاد من بكائها إفساد التوأمين الصباح عليها، وتعلقت بأمها حين حاولت الصعود في السيارة فضمتها ماندي بلطف

وأبعدت ذراعيها الصغيرتين عن عنقها قائلة:

ـ ستأتين إلى لندن بعد أسبوعين.. بل أقل من هذا في الواقع.. لأن جدتك ستأتي بك يوم الجمعة وتقول إنها ستبقى إلى يوم الثلاثاء.. ما رأيك بهذا؟

سألت ساري ببراءة:

ـ هل سيكون أليوت هناك؟

تمتمت ماندي بغير ارتياح: «سنرى..».

واضطرت ساري إلى الرضى بنصف الوعد. نادت السيدة كالدر عندما أدار المحرك:

ـ قد السيارة بحذر.

ورفع أليوت يده مودعاً وهما يتجهان إلى الطريق العام.

شغل زحام السير في المدينة كل اهتمام أليوت.. واستندت ماندي إلى الوراء في مقعدها تتساءل عما يفكر فيه بالضبط، ثم استرقت نظرة إلى وجهه المتجهم وخفق قلبها ألماً لمعرفتها أنها هي سبب هذا المزاج.

كانت الساعة تقارب الثامنة حين أطلق أليوت الإشارة دلالة رغبته في مغادرة الطريق العام، واستدار إلى طريق «ايكسبوري» فالتفتت ماندي تنظر إليه بارتباك:

ـ أين ستذهب؟

ـ إلى ستونور.. فكرت أن نقضي الليل هناك وسأوصلك إلى عملك في الصباح.

خفق قلبها:

ـ أتعني أن نقضي الليل في منزلك؟

ـ إذا لم يكن لديك اعتراض.

كتمت أنفاسها:

ـ أنا.. ظننت أنك غاضب مني.

ـ أنا غاضب.. لكنني أحبك أيضاً. وبطريقة ما يجب أن أقنعك بهذا!

حين دخلت اللامبرغيني بوابة المدخل المرصوف بالحصى الموصل إلى المنزل، كانت ماندي قد أقنعت نفسها بأن ما سمعته كان وليد تخيلاتها حتماً.. لا يمكن أن يكون قد قال إنه يحبها.. إنهما متعبان ونتيجة لهذا وقع خطأ ما. ووبخت نفسها، لا بد أنها هي المخطئة. إنها تخلط مشاعرها بمشاعره.. إنه لا يحبها، بل يحب أنجيلا سيمور كيلر.. أما بالنسبة لها فهو يشعر بانجذاب لا أكثر.. وستكون أنجيلا زوجته.

تمتم أليوت عند ظهور ماغي ماكلوغ لاستقبالهما:

ـ لقد اتصلت هذا الصباح من «تايانماوث».

اقتربت مدبرة المنزل الصغيرة الجسم منهما وقالت بينما كانت ماندي تخرج من السيارة:

ـ هذه مفاجأة بالتأكيد. لقد أخرت وجبة العشاء كما طلبت مني سيدي.. لكنني آسفة أن أقول إن الآنسة لوسيندا وصلت بعد الظهر.

ـ لوسي! أوه.. حسناً.. أظن أننا سنكون ثلاثة على العشاء.. ولن يسبب هذا أي مشكلة لك ماغي، أليس كذلك؟

ردت ماغي بلهجة ذات مغزى: «ليس بالنسبة لي».

أكد لها بخشونة:

ـ ولا بالنسبة لي كذلك ماغي.

توترت أعصاب ماندي نتيجة لتوقعها لقاء شقيقة أليوت.. وتمتمت بصوت منخفض وهما يسيران إلى المدخل:

ـ ربما يجب ألا أبقى.

قال بنفاد صبر:

ـ كنت مهذباً مع شقيقك، أليس كذلك؟ بإمكانك الآن أن تكوني لطيفة مع شقيقتي. ولو كان هذا سيتطلب جهداً.. لكلينا!

قابلتهما لوسيندا فرايزر في الردهة فلقد سمعت هي أيضاً صوت وصول السيارة، لكن ردة فعلها لم تكن لطيفة كردة فعل ماغي.. وقالت بصوت ملؤه الارتياب:

ـ مرحباً أليوت، أرجو ألا تعترض على دعوتي لنفسي بضعة أيام إلى هنا.. لم أكن أظنك ستأتي إلى هنا، أليس من المفترض أن تكون في نيويورك؟

ـ كنت.. لكنني عدت في أسرع مما توقعت.

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي لوسي ثم اختفت.. وأدركت ماندي أن الفتاة متوترة مثلها.. كانت تشبه أخاها كثيراً، سوداء الشعر، رمادية العينين، بجسم طويل نحيل وقسمات أنثوية جداً.. وكان ثوبها الصوفي يحمل بدون أدنى شك علامات الذوق الرفيع.

قال أليوت في محاولة لتخفيف التوتر بين الفتاتين:

ـ لا بد أنك خمنت أن هذه شقيقتي، لوسي.. إنها تظهر دائماً في أوقات غير مناسبة.

مدت لوسي يدها:

ـ وأنت لا شك السيدة آبكوت.. لقد أخبرتني ماغي كل شيء عنك.

ونظرت إلى أخيها بارتباك:

ـ أعتقد.. أن أنجيلا.. ليست معك.

صافحت ماندي لوسي وهي تعرف أن وجهها كان مخضباً باللون الأحمر. لكن أليوت لم يتأثر:

ـ لا.. آنجي ليست معي.. والآن أقترح أن تتركنا لنستحم قبل العشاء.. في أية غرفة أنت؟ غرفتك المعتادة، كما أعتقد؟

ـ لقد أخبرتني ماغي أن السيدة آبكوت استخدمت تلك الغرفة في المرة الماضية.. لكنها قالت كذلك إنك لن تمانع أن تحتل الضيفة الغرفة الخضراء.. أليس كذلك؟

رد بجفاء:

ـ يمكننا تدبر الأمر.

ودخلت ماغي تحمل الحقائب:

ـ سآخذ هذه عنك ماغي.

وترك ماندي ليأخذ الحقائب من مديرة المنزل.

ـ سنراكما وقت العشاء.. سأرشد.. ضيفتي.. إلى غرفتها.

رافقها أليوت إلى باب غرفة تقع في الجهة المعاكسة للتي شغلتها في زيارتها الأولى، وتركها تفتح الباب وتدخل أمامه إليها.

ـ تعرفين طريقك إلى الطابق الأسفل.. لا تتأخري، سينفد صبر ماغي.

ـ أليوت.. ليس لدي ما أرتديه.

ـ ارتدي الفستان الذي اشتريته لك. أحضرته معك، أليس كذلك؟ سأراك في الأسفل بعد عشرين دقيقة.

بدا لها أن العشرين دقيقة وقت قصير لتتمكن خلاله من تحضير نفسها لمواجهة الموقف. وأخذ قلبها يخفق بجنون وهي تفكر فيما تظنه شقيقته بها الآن.

تذكرت وهي تضع القليل من الزينة على وجهها ما قاله لوسي عن غرفتها.. وأدركت أن الملابس التي رأتها هناك كانت تخصها هي.

قُدم العشاء في غرفة الطعام الصغيرة التي تنفتح على المكتبة حيث تناولت العشاء مع أليوت عندما كانت هنا.. وسألت لوسي:

ـ هل ذهبت مع أخي إلى نيويورك سيدة آبكوت؟

قاطعها أليوت باختصار:

ـ لا.. لم تذهب. وأظن أن من الأفضل لك أن تناديها ماندي، أليس كذلك؟ فعلاقتنا ليست رسمية أبداً.

أمام ارتياح ماندي، وصلت مديرة المنزل لتعلن جهوز المائدة، وهذا ما أنقذ الفتاة من الرد على أخيها.. لحقت بمديرة المنزل إلى غرفة الطعام والتقت عينا ماندي بنظرة أليوت بارتباك متزايد.

همس لها:

ـ تبدين جميلة..

حين عادت ماغي للظهور عند الباب، اغتنمت الفرصة لتبتعد عنه.

أثناء العشاء، لاحظت ماندي أن لدى لوسي شهية كبيرة بالرغم من نحول جسمها، في وقت وجدت هي صعوبة في تناول الطعام.. وفرقعت السيدة ماكلونغ بلسانها سخطاً وهي تأخذ طبقيهما، بينما لا يزال طبق أليوت كما هو.

ـ ماذا فعلت له سيدة آبكوت؟ لا بد أن الرجل قلق بخصوص شيء ما ليفقد شهيته على الطعام!

احترق وجه ماندي خجلاً.. ونظر أليوت إلى المرأة المسنة بنفاد صبر:

ـ لسانك حاد جداً وقد يقطع حلقك في يوم ما...

كشرت ماغي وتركت الغرفة فتنهدت لوسي بخشونة:

ـ إنها فعلاً لا تحتمل!

ونظرت إلى ماندي متعاطفة:

ـ لا تأبهي لها.. نظن أن لها الحق في قول ما تشاء!

ابتسمت ماندي ابتسامة ضعيفة.. وبعد لحظات دفع أليوت كرسيه إلى الوراء ووقف:

ـ أظن أن علينا جميعاً النوم باكراً، لقد وعدت أن أوصل ماندي إلى عملها في الصباح، وبما أنها تبدأ العمل في التاسعة.. فعلينا المغادرة في السابعة على الأقل.

هزت أخته رأسها:

ـ أنت لا زلت تعاني متاعب السفر بالطائرة من قارة إلى أخرى بلا شك.. وستجد من الصعوبة فتح عينيك في السابعة.

ـ أعرف هذا.. لذا تصبحين على خير.

ـ تصبح على خير.

ابتسمت لوسي له من فوق حافة فنجان قهوتها.. وقالت ماندي:

ـ أراك في الصباح.

أحنى رأسه أدباً وذهب إلى غرفته، وبقيت ماندي لوحدها مع لوسي تنتظر بارتباك ما ستقوله الفتاة. . لكنها لم تقل شيئاً بل عرضت عليها المزيد من القهوة. . بعد ملء فنجانيهما قالت بهدوء:

ـ أنا مسرورة لفرصة مقابلتك. . أنت مختلفة عما كنت أتوقع.

افترضت ماندي أن السيدة ماكلونغ كانت أكرم في تقييمها لها، وقالت:

ـ حقاً؟ أرجو أن يكون هذا للأفضل.

التوت شفتا لوسي:

ـ إنه للأفضل. . أظننا جميعاً كنا تحت سوء فهم.

قطبت ماندي:

ـ جميعاً؟ تعنين ماغي؟

ـ لا. . بل أعني والديّ. . ومن الأفضل أن أكون صادقة. . فأنا لست هنا صدفة، ماندي. . . عندما اتصل أليوت وقال إنكما ستقضيان الليلة هنا. . اتصلت ماغي بأمي، وأمي اتصلت بي.

* * *

٩ ـ أنجيلا تتدخل

دخلت ماندي إلى غرفتها يرافقها الإحساس بإرهاق مؤلم. لقد تركها الحديث الذي جرى بينها وبين لوسي مضطربة ومرتبكة رغم أن شقيقة أليوت لم تقل شيئاً يكدرها. .

كان ما اكتشفته مشتتاً للقوى. . أن تألو السيدة ماكلونغ على نفسها إخبار والدي أليوت بانحراف ولدهما. . ويمكنها تصور ما ظنه الأبوان. وبما أنها مطلقة فلا شك أن هذا الواقع زاد من قلقهما.

لكن لوسي لم تقل شيئاً من هذا بل العكس، كانت عادية جداً في كلامها كله. . فقد قالت رداً على صدمة ماندي المحرجة:

ـ يجب أن تفهمي. . أننا كنا دائماً عائلة مقرّبة. عندما أخبرت ماغي أمي أنك وأليوت أمضيتما عطلة الأسبوع هنا لوحدكما، اضطربت أمي كثيراً.

هزت ماندي رأسها:

ـ أنا واثقة من اضطرابها. هل تظن أنني أحاول فسخ خطوبة أليوت؟

ـ لا. . لكنها انزعجت لأنه لم يقل لها شيئاً عنك. . أعني أن أنجيلا لم تكن أول صديقة لأليوت، لكنه لم يكن معتاداً على المجيء. . . حسناً. . كانت أنجيلا الوحيدة التي أقامت في ستونور. . حتى الآن.

احترق وجه ماندي احمراراً:

ـ لست أدري ما أقول. .

ـ لا تقولي شيئاً. . على الأرجح، سيدق أليوت عنقي بسبب كلامي

معك هكذا. . لكنك تعرفين كيف تكون الأم. . إنها تريد فقط أن تعرف من أنت.

هزت ماندي رأسها:

ـ لا داعي لقلقها، فعلاقتنا. . أنا وأليوت، ليست مهمة.

فجأة أصبحت عينا لوسي كعيني أخيها:

ـ ألا تظنين هذا؟ أتعرفين. . أنا أميل إلى الموافقة مع ماغي. . مع أنها مشاكسة. . فأنا لم أعرف أن أليوت فقد شهيته من قبل.

أغلقت ماندي باب غرفتها واستندت بإرهاق عليه. . ماذا يهمها مما تظنه لوسي أو السيدة فرايزر؟ فبعد عطلة الأسبوع هذه، هي مصممة ألا ترى أليوت مرة أخرى. لقد أصبح مريراً جداً خداع نفسها بأنها لا تؤذي أحداً. إنهما يؤذيان الناس. . ويؤذيان نفسيهما قبل أي شخص آخر. . أو هذا ما جعلتها لوسي تؤمن به إذا كان ما قالته صحيحاً.

واستدارت فعلقت أنفاسها في حلقها، لقد كانت مستغرقة في أفكارها وبؤسها لذا لم تلاحظ أن شخصاً ينام بين أغطية سريرها، في الضوء الخافت كان لملامح وجه أليوت ضعف غريب، رموشه ترتاح على خديه وبشرته السمراء بنية اللون على الوسائد الخضراء.

أدركت أن عليها أن توقظه وتعيده إلى غرفته. . لكنها لم تفعل معزية نفسها بأنه يحتاج إلى النوم. . . دخلت إلى الحمام فأزالت الزينة ونظفت أسنانها ثم عادت.

كادت تخرج من جلدها حين قال بصوت أجش:

ـ أين كنت حتى الآن؟

ـ أنت مستيقظ؟

ـ وهل ظننت حقاً أنني لن أكون؟

حاولت المحافظة على تعقلها:

ـ يجب ألا تكون هنا. . أليوت. . ماذا ستظن أختك؟

ـ لا أهتم أبداً بما تظنه. . هذا بيتي.

ـ أليوت! أمك. . أعني. . لقد أخبرت السيدة ماكلونغ أمك أننا قضينا عطلة الأسبوع الماضي هنا. . أليوت هل أنت مصغ إلي؟

قال بدون اكتراث:

ـ حسناً. . قد تكون فعلت. . أوه. . حمي لا أهتم بما تقوله ماغي أو أمي أو أي شخص آخر عداك. . أنت الشخص الوحيد الذي يهمني. . ألا تصدقينني؟

ولم تستطع ماندي التفكير في أي شيء آخر سوى البهجة التي تحسها بجواره.

استجمعت آخر ما في دفاعاتها من إرادة، وقالت بصوت هامس:

ـ أليوت. . أختك. . ماذا لو حاولت أن تراك في غرفتك قبل نومها. . ستعرف فوراً أنك هنا و. .

قاطعها:

ـ قلت لك لا يهمني ما تقول أختي أو غيرها، لا يهمني أحد سواك.

ارتفع صوتها قليلاً:

ـ لكن يهمني أنا. . إنها سمعتي. وماذا ستقول أنجيلا؟

أحسته يتصلب عند ذكر اسم خطيبته فشعرت بألم يقلص معدتها. . حتى وهو معها لا زال ذكر اسمها كفيلاً بإجفاله. طوح بقدميه وهو يتمتم بشتيمة حادة من بين أنفاسه، وخرج من الغرفة بدون كلمة يغلق الباب خلفه بهدوء.

أنزل أليوت ماندي أمام المؤسسة في الصباح التالي في التاسعة وخمس دقائق. . قال بهدوء:

ـ آسف لتأخرك. . سأتصل بك.

هزت رأسها:

ـ لا تفعل. . لا أريد رؤيتك مرة أخرى!

وخرجت من السيارة.

أحس باندفاع للخروج وراءها لكنه امتنع عن ذلك لأنه يريد تفادي حوار معها هنا.. ثم إنه ملزم بالقيام بأشياء أخرى يجب أن يفعلها قبل أن يراها مجدداً.. فتركها تخرج وقلبه يخفق بشدة في صدره..

فكر غير مصدق: يا إلهي.. متى عرف أن ما يشعر به نحوها ليس مجرد عاطفة عابرة؟ كان مجرد تذكره للألفة والمودة بينهما يثيره بشكل يبعث الاضطراب، حتى وهو بقربها، كان يرغب في امتلاك تفكيرها... والفراغ الذي يشعر به حين كان يبتعد عنها لا يمكن ملؤه بسهولة.

كان يعرف أنها تبادله المشاعر أيضاً.. ولم يعرف من قبل امرأة تتماثل مع مزاجه مثلها.. صحيح أن هناك نساء كثيرات مررن في حياته، لكن ما من واحدة منهن وعلى وجه الأخص ليس أنجيلا، أعطته الرضى فكرياً ونفسياً كما تفعل ماندي.. إنها رائعة، مبهجة محبوبة ولديها كل ما يريده في امرأة.. والغريب أنه عندما فكر في الزواج من أنجيلا، كان يريد تأسيس عائلة لإعطاء والديه الحفيد الذي يتلهفان إليه.. لكن حين يفكر في ماندي الآن لا يخطر في باله إن كان سينجب منها أم لا، فهو يريدها، يريد أن يكون معها.

وصل إلى برايتون هاوس في بضع دقائق، فأوقف اللامبرغيني في الباحة الداخلية ثم فتح الباب ودخل إلى المبنى.. إن حالفه الحظ سيجد أن أنجيلا لم تغادر الشقة إلى العمل.. لكن لو أنها خرجت فسيضطر إلى ترتيبات أخرى.. يمكنه أن يصطحبها إلى الغداء، ولو أنه لا يرحب بإطالة أمد عذابه. إنه يريد انفصالاً نظيفاً وبقدر ما يمكن من الوقار والاحترام.. إنه ليس رجلاً من النوع الذي يبتهج بما سيفعله.. وإذا أرادت أن تقول لأصدقائها إنها هي التي نبذته فهو مستعد للقبول بهذا من أجل استعادة حريته.. وهو يتجه إلى السلم نادت السيدة موركير باسمه:

ـ سيد فرايزر.. أنت زائر مبكر.

توقف، ثم التفت إليها:

ـ صباح الخير سيدة موركير.. أجل.. هل الآنسة سيمور في الشقة؟

ـ حسبما أعرف، لم تغادر الشقة حتى الآن.. أنا في العادة أسمعها حين تخرج.. وكذلك الآنسة بنتلي.

ـ أنا واثق من معرفتك لهذا.. آه.. لبلي.. الآنسة بنتلي.. هل قلت إنها غادرت؟

ـ أظنها سافرت في عطلة الأسبوع.. أعتقد أنها كانت ستمضي عطلتها مع أسرة تورنتون، أليس الاسم صحيحاً؟

ـ معلوماتك دقيقة سيدة موركير وشكراً. سأصعد لأرى إذا كانت أنجيلا على استعداد للخروج.

أخرج مفاتيحه من جيبه عند وصوله إلى باب شقة أنجيلا.. لكن بعد تفكير متردد، ضغط الجرس.. وهو ينتظر، أخرج المفتاح من الحلقة ووضعه في جيبه.. سيعيده لها.. فلا حاجة له به بعد الآن.

بدا له أن دهراً قد مرّ قبل أن ترد.. ودق الجرس عدة مرات قبل أن يسمع صوت إزاحة سلسلة الأمان من مكانها.. وهز رأسه.. فللمرة الأولى يحس بالامتنان للسيدة موركير التي لولا تطفلها لظن أن أنجيلا خرجت.

انفتح الباب ببطء وتطلعت أنجيلا عبر شق الباب.. وقالت بدهشة خفيفة:

ـ أليوت! لقد.. عدت!

استقام من وضعية الاستناد إلى الجدار:

ـ كما ترين! عدت يوم الجمعة في الواقع.

ـ الجمعة؟

لولا أنه كان مشغولاً بمشاكله لانتبه أكثر إلى نظرة اختلستها بسرعة إلى خلفها.

ـ أجل.. الجمعة.. ألن تدعيني إلى الدخول؟ هناك ما أريد أن أقوله لك على انفراد.

مررت أنجيلا لسانها حول شفتيها الفاغرتين وتمتمت بارتباك:

ـ حسناً.. أنا.. ألا يمكنك العودة فيما بعد؟ أتستطيع حبيبي؟ أترى.. ليلي ليست على ما يرام.. وكنت مستيقظة معها طوال الليل. وأنا.. مرهقة تماماً!

كان بإمكان أليوت أن يصدق هذا فقد كانت شاحبة جداً ومنتفخة العينين.. لكن بما أن السيدة موركير أكدت له أن ليلي تقضي عطلة الأسبوع في ستوكويل فقد أدرك أن أنجيلا لا تقول الحقيقة... ضاقت عيناه الرماديتان.. وسأل بحدة:

ـ هل أنت واثقة أن ليلي هي المريضة؟

دفعها إلى الداخل ورفس الباب بقدمه يغلقه.

ـ أليوت، أتسمح بالخروج من هنا؟

دس يديه في جيبيه:

ـ بعد أن نناقش الأمور بالكامل..

سبّب سؤال ماذا يجري بالفرنسية الإجفال لأليوت الذي استدار بسرعة فاتسعت عيناه ذهولاً لرؤية رجل نحيل أسمر ظهر أمامه، مشعث الشعر، وكان ينظر إليهما مشدوهاً، فالتفتت أنجيلا إليه باحتجاج غاضب.. وصاحت بالفرنسية:

ـ أندريه.. هل أنت أبله! طلبت منك أن تبقى في الغرفة..

قاطعها أليوت:

ـ أنا أتكلم الفرنسية أنجيلا..

وارتفعت زاويتا فمه بسخرية.. وفكر: لا عجب أن تعترض أنجيلا على دخوله إلى الشقة.. فمع غياب ليلي، كيف يمكن أن تفسر هذا؟

قالت متلعثمة مشوشة:

ـ أنت لا تفهم أليوت. حبيبي.. لقد عرضت على أندريه أن ينام هنا الليلة لأن الوقت كان متأخراً حين أوصلني إلى المنزل.. كنا قد خرجنا للعشاء.. ظننتك مسافراً.. قلت إنك ستغيب طوال عطلة الأسبوع.. يا الله.. أتظن أن هناك شيئاً أكثر من هذا؟ صدقاً أليوت.. أيمكن أن أفعل

شيئاً كهذا؟

* * *

إن كانت ماندي قد أملت أن يقابلها أليوت بعد العمل ذلك المساء، فلقد خاب أملها إذ لم يكن هناك أثر للامبرغيني وهي تخرج من المؤسسة، وقالت لنفسها إنها مسرورة لهذا وهي تأخذ مكانها في موقف الباص.

ولم يكن هناك أثر للسيارة في برايتون هاوس كذلك.. مع أنها فكرت أن بالإمكان أن ينتظرها هناك.. على أي حال، يجب أن يأتي ليرى أنجيلا كما اعترفت بتعاسة.. وإذا كانت ستتابع حياتها في لندن فعليها أن تتقبل هذا الواقع طالما بقيت خطيبته تسكن في المبنى ذاته.

كانت تصنع لنفسها سندويشاً حين سمعت قرعاً على بابها فخفق قلبها بجنون.. إنه أليوت حتماً، فما من أحد غيره يمكن أن يزورها.. ومع أنها تتشوق إلى رؤيته، إلا أنها تجاهلت قرع الباب بعناد.

ـ سيدة آبكوت.. ماندي!

كان الصوت المنادي لا يخص أليوت.. وأطلقت أنفاسها.. إنه صوت أنجيلا. تخلت عن صنع سندويشها واستجمعت شجاعتها قبل أن تتقدم إلى الباب.

ابتسمت أنجيلا بارتياح:

ـ أوه.. أنت هنا.. عرفت أنني لست مخطئة.. لقد لحقت بك من كليفتون غابت.

سيطرت ماندي على احمرارها بصعوبة:

ـ حقاً؟ أنا آسفة.. لم أرك.

تطلعت أنجيلا إلى داخل الشقة:

ـ لا.. أيمكن أن أدخل؟

ـ إذا أحببت.

خطت أنجيلا إلى الداخل:

ـ شكراً.. لن آخذ من وقتك أكثر من بضع دقائق.

لم تستطع ماندي أن تتخيل ماذا لدى الفتاة لتقوله لها.. وخفق قلبها ألماً لفكرة أن تكون قد اكتشفت صداقتها مع أليوت.. صداقتهما! وتسارعت نبضات ماندي.. العلاقة التي تربطها بأليوت لا تحمل الكثير من التشابه مع وصف الصداقة.

نظرت أنجيلا إلى ما حولها في الشقة بشيء من الكبرياء:

ـ الجو حميم هنا.

كبتت ماندي سخطها:

ـ إنها تناسبني.. لماذا أردت رؤيتي؟ يجب أن أتصل بابنتي بعد ربع ساعة.

ـ ابنتك؟ أوه.. أجل أخبرني أليوت عنها. إنها تعيش في شمالي إنكلترا مع أمك.. أليس كذلك؟ ويعتقد أليوت أنها حلوة.

جمدت قسمات وجه ماندي: «حقاً؟».

تقدمت عبر الغرفة، ترد بتكاسل: «أجل..».

وجلست في مواجهة المدفأة الفارغة.

ـ لقد أمضيت عطلة الأسبوع معه.. أليس كذلك؟ أوه.. لا تخافي.. لن أقتلع عينيك.. أو أي شيء كهذا.. لقد أخبرني أليوت كل شيء، ولقد سامحته.. هل تتصورين أنك الأولى التي تجتذب عيني خطيبي الساحرتين؟

انفرجت شفتا ماندي: «لا أصدقك..».

قالت أنجيلا بلهجة سأم:

ـ لا.. إنهن عادة لا يصدقن.. أعني فساد أليوت. وأعتقد أنني لا أستطيع لومهن فهن لا يرغبن في أن يخسرنه.. إنه حقاً رائع!

أخذت ماندي نفساً عميقاً ثم سارت متصلبة إلى الباب، فتحته وقالت بحدة:

ـ أريدك أن تخرجي من هنا آنسة سيمور ـ كيلر.. الآن.. في هذه اللحظة.. وإلا سأقتلع أنا عينيك.. وهذا خيار ربما لم تفكري فيه.

بقيت أنجيلا جالسة حيث هي لعدة ثوانٍ وكأنها لم تثق باللمعان في عيني ماندي ثم وقفت تقول:

ـ حسن جداً.. أنا ذاهبة.. لكن صدقاً، عزيزتي، أنت تتصرفين بشكل بدائي.

ـ اخرجي من هنا!

ـ سأفعل.

توقفت أنجيلا عند الباب:

ـ في الواقع.. هناك سبب آخر لرغبتي في أن أتكلم معك.. أردت تحذيرك.. لن يتجدد إيجارك لهذه الشقة في نهاية حزيران كما تتوقعين. يملك والدي هذا المبنى.. ومع أنني سأتركه في نهاية السنة عندما أتزوج أليوت.. إلا أنني أرفض أن أشعر بعينيك الحاسدتين تراقباننا أثناء دخولنا وخروجنا من هنا!

بعد مضي خمس ساعات على خروج أنجيلا، كانت ماندي لا تزال ترتجف بسبب ما قالته لها. كان أمراً رهيباً.. رهيباً جداً.. وتعرف أنها لن تنساه أبداً. لقد سمعتها تصرف النظر عن علاقة أليوت بها بدون أن تهتز لها شعرة وهذا أمر مذل.. مع ذلك فأنجيلا معتادة على هذا بلا شك، وهو التفسير الوحيد للبرودة التي تحدثت فيها عن علاقاته. وعرفت ماندي أن عليها أن تشعر بالأسى على أنجيلا.. لكنها لم تستطع.. إذا كانت الفتاة غير مكترثة بعلاقات أليوت، فلربما لديها أسبابها الخاصة للتغاضي عن خطاياه.

لكن هذا الاستنتاج لا يجعل الموقف أسهل.. فلقد أحبت ماندي أليوت ولا زالت تحبه.. إنه الرجل الوحيد الذي تهتم به فعلاً.. ومهما فعل، سيبقى حبها له ويعيش.. لكنه سيكون حباً مؤلماً لأنها ستتذكر دائماً كيف أنه خدعها.. وفكرت بمرارة: ليتها لم تأتِ إلى لندن!

لم تفكر كثيراً في ما قالته لها أنجيلا في الشقة، لكن لا شك لديها أنه صحيح.. إنها مصدومة جداً، مخدرة الأحاسيس وضعيفة في الوقت

الحاضر كي تقرر ما يمكن أن تفعله وإلى أين يمكن أن تذهب.. يجب أن تنتظر ريثما تصبح أكثر قدرة على التعامل مع المشاكل. أما الآن.. فمن الجهد أن تنظر إلى أبعد من الأربع وعشرين ساعة القادمة.

كانت ترتدي روبها وتجلس متكورة على الأريكة تحاول ألا تتذكر أين كانت في الوقت عينه من الأمسية الفائتة.. فجأة سمعت جرس باب المبنى الخارجي يرن وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة.. إلا أنها نزلت عن الأريكة وفتحت الباب لترى أن السيد موركير فعل مثلها، وقال ما إن رآها:

- إن أحدهم نسي مفتاحه حتماً.. أعتقد أن من الأفضل أن أرد.. لا أحد يعرف ماذا هناك في مثل هذه الساعة من الليل.

قالت زوجته: «كن حذراً..».

ونظرت إلى ماندي بعينين قلقتين فاضطرت إلى البقاء معها لتتأكد من عدم وجود متاعب.

صاح وكيل المبنى: «أوه.. سيد فرايزر!».

أدارت ماندي عينين مذعورتين نحو الباب.. إنه أليوت يمر بنفاد صبر من أمام الرجل المذهول فيما عيناه مركزتان على وجهها المصدوم..

تراجعت إلى الداخل بدون أن تعطي نفسها وقتاً للتفكير وأقفلت الباب.. ليس لديها أي نيّة في التحدث إليه الليلة، خاصة وأنه في طريقه لرؤية أنجيلا، كما هو واضح.. فليظن الزوجان موركير ما يريدان.. لن تلومهما إذا ظناها فظة.

لم تكد تضع سلسلة الأمان في مكانها حتى سمعت طرقاً عنيفاً على الباب.. وصاح أليوت بنفاد صبر واضح:

- ماندي! ما الذي تفعلينه بحق الله؟ افتحي! هيا.. أريد أن أكلمك.

ضغطت ماندي بظهرها على الباب وقالت:

- اذهب من هنا أليوت.. ماذا تظن نفسك تفعل؟ ليس من حقك إحراجي هكذا!!

- إحراجك؟ وكيف تظنين أنني أشعر وأنا أصرخ من خارج الباب؟ أوه.. لأجل الله.. دعيني أدخل قبل أن يشك موركير بشيء ويتصل بالشرطة.

- لن يفعل هذا.

- لن يفعل؟ وهل أنت مستعدة للمخاطرة؟

زفر بقلق وفقد صوته العدوانية:

- اسمعي! يجب أن أراك أماندا.. لا تدعيني أقول كل شيء أمام شهود.

زمت شفتيها معاً وحاولت مقاومة التوسل في صوته.. لكنها لن تستطيع تركه يقول الأكاذيب أمام السيدة موركير.. فهي ستبقى تسكن هنا ولو لأشهر قليلة على الأقل لذا لا تريد أن تصبح موضوعاً لثرثرتها..

أخذت نفساً عميقاً وأخرجت السلسلة من مكانها وفتحت الباب فوراً.. قطع أليوت المسافة التي ابتعدتها لتسمح له بالدخول.. ومع ابتسامة ساخرة نحو السيدة موركير التي كانت لا تزال تقف في المدخل، أغلق الباب خلفه.

* * *

١٠ ـ لا شيء بيننا إلا . . .

ابتعدت ماندي عن أليوت متجهة إلى غرفة الجلوس ووقفت وراء الأريكة قبل أن تسمح لعينيها أن تلتقيا بعينيه . . لكن حدة تعبيرهما لم تخففها المسافة، وتحركت متوترة تحت مراقبة نظرته .

قال بهدوء :

ـ أتسمحين أن تقولي لي ما سبب كل هذا؟ أعرف أن الوقت متأخر وقد أكون أخرجتك من سريرك . . لكن لا شك خطر في بالك أن وجودي هنا هو لأمر هام.

هزت كتفيها وقالت بصلابة :

ـ أنا . . اعتقدت أنك قادم إلى أنجيلا . . أوليس من الحماقة أن تأتي إلى هنا في هذا الوقت من الليل؟

رفع يده يحل ربطة عنقه ويبعدها عن الياقة، ثم قال بعد أن فك زر ياقة قميصه :

ـ أعتقد أنني أستحق هذا . . كان يجب أن آتي إليك في وقت مبكر أكثر . . وكان يمكن أن أفعل هذا لولا تعطل طائرة . . .

ـ طائرة؟ أي طائرة؟

نظر حوله :

ـ الطائرة من «دبلن»، هل يمكن أن أجلس؟ أنا حقاً متعب!

هزت رأسها بارتباك، وقالت :

ـ كنت في «دبلن» لترى والديك؟ لتشرح لهما أمر قضائنا عطلة الأسبوع في ستونور؟

ـ تقريباً .

وجلس على الأريكة، يريح رأسه إلى الخلف .

ـ كان يجب أن أكلم أبي، وتستحق أمي تفسيراً .

أخرجت ماندي يديها من جيبيها .

ـ طبعاً . . وأعتقد أنهما لم يدينا تصرفاتك أو ربما أداناها . . أنا لست خبيرة في الحكم على الشخصيات .

هز رأسه :

ـ يا لها من كلمات قديمة الطراز تستخدمينها . ربما تتكرمين بإخباري عما تعنينه بكلامك هذا . . هل أفهم منه أنك تعتبرين أن شخصيتي غير قابلة للإصلاح؟

ارتجفت :

ـ أعتقد أن علينا التوقف عن التلاعب .

ـ أوه . . وأنا أعتقد هذا .

ـ إذن؟

ـ إذن . . ماذا؟ ما هي اللعبة التي تلعبينها الآن؟ أهي اللعبة عينها التي كنت تلعبينها منذ أدركت أن هناك شيئاً مشتركاً بيننا؟

احمّر وجه ماندي :

ـ لا . . لا شيء بيننا . . وتعرف هذا . . كما أعرفه، لذا يجب أن تتوقف عن ادعاء وجود شيء .

رفرف أليوت عينيه ثم وقف عن الأريكة وقال :

ـ حسن جداً . . ماذا حدث؟ لماذا تتصرفين وكأنني الابن المنحرف؟ أذكر ما قلته لي هذا الصباح، وأعرف لماذا قلته . . لكن هذا كله لم يعد ينطبق على الوضع الآن . . أنا وأنجي انفصلنا . فسخنا الخطبة هذا الصباح . . ولقد ذهبت إلى دبلن لأخبر والدي عن علاقتنا نحن!

شهقت ماندي غير مصدقة.. وابتعدت عنه أكثر..

ـ أنا.. أنا.. كيف تقول مثل هذا؟ لقد تحدثت إلى أنجيلا بعد ظهر اليوم.. وقالت لي بدون مواربة إنكما لم تنفصلا البتة.

ارتفع رأس أليوت بحدة:

ـ تكلمت مع أنجيلا بعد الظهر؟

ـ أخبرتك بهذا.. وقالت لي كل شيء عن.. عن علاقتك بها! وهذا ما كنت قد توقعته.. وما أستحقه.. لكن لم يكن له لزوم.. فقد قررت قبل هذا ما يجب أن أفعل.

تجهم وجهه:

ـ حقاً؟ وأعتقد أن هذا هو سبب هذه المهزلة! إنها طريقتك الفاشلة في الهروب مما تتوقين إليه..

ـ ليست طريقة فاشلة..

ـ أليست كذلك؟ أليست؟

قطع المسافة بدون أن يترك لها مجالاً للهرب ثم راح ينظر إليها بعينين ساحرتين مما جعل مشاعرها تضطرم في داخلها. وتلا ذلك إحساس متشوق لديها جعل من غير المنطقي أن تنكره.

أحس أليوت بتشوشها.. فهمس لها:

ـ يا إلهي.. ألا تعرفين أنني أحبك؟ لماذا تصرين على تصديق كل الناس عداي؟

ارتجفت: «قالت أنجيلا..».

ـ أستطيع أن أخمن ما قالته أنجيلا.. لكنها كاذبة.

ثم أردف قائلاً:

ـ أعطني القليل من الثقة، أيمكن؟ كنت بالنسبة لها مجرد حلم مالي جذاب.. وهي تعرف هذا.

رفعت نظرها إليه بارتياب:

ـ أنت.. لن.. تتزوجها؟

ـ ألم أقل لك هذا لتوي؟

لم تستطع استيعاب ما يقوله.

ـ لست أدري.. أليست هذه مؤامرة أخرى كي تربكني؟

أغمض عينيه لوقت قصير:

ـ أربكك؟ أوه.. حبي! إذا كان ثمة أحد مرتبك هنا، فهو أنا!

ـ لكن.. لكن أنجيلا..

أحنى رأسه:

ـ نعم؟ تابعي. من الأفضل أن ترددي ما قالته أنجي.. ثم سأخبرك بما حدث حقاً.

عاد ليجلس على الأريكة ويشير لها لتجلس قربه.

ـ تابعي.. قبل أن أفقد كل تعقلي.

رطبت شفتيها:

ـ أنا.. أنا.. جاءت إلى شقتي وقت الشاي بعد أن عدت إلى البيت.. إنها.. تعرف كل شيء عن ساري.. وعن عطلة الأسبوع التي أمضيناها معاً. قالت إنك أنت من أخبرها بكل هذا.

ـ هذا صحيح.. تابعي.

ـ وهل فعلت هذا حقاً؟

ـ وهل لديك شك؟

وبدون أن تفهم معنى رده جيداً، تفوهت بما تبقى من أقوال أنجيلا.. ولم تترك لأليوت أدنى شك في مدى مرارة خطيبته السابقة مما حصل.. وأنهت كلامها:

ـ أعتقد أننا.. جرحناها.. مسكينة أنجيلا!

رد بهدوء: «وصدقتها؟».

أطرقت رأسها:

ـ أجل. لكنني ما زلت لا أصدق أنك.. أنك تريدني أنا.. وليس هي.

رأى لمعان الدموع في عينيها، فقال:

ـ حقاً؟ يجب أن أقول إنك لا تستحقينني.

ـ لا تمازحني.

ـ أنا لا أمزح.. أحاول فقط أن أجعلك تفهمين أن كل ما قالته من أشياء سيئة لا يعني شيئاً لنا.. ولدينا العمر كله لنبرهن عن هذا.

همست له: «هل تعني هذا؟».

قال يطمئنها بصوت مرتجف:

ـ ليس من عادتي المبالغة في كلامي إلا إذا كنت أعني ما أقول.. ولو كنت تركتني أشرح لك قبل أن تقفزي إلى استنتاجات خاطئة، لطمئنتك من هذه الناحية.

عضت ماندي على شفتها السفلى: «أنا آسفة».

ـ وهل ستصدقينني إذا قلت لك إنني لست معتاداً أن أكذب.. على أي أحد.. وإنني لم أعط أنجيلا سبباً يجعلها تغار إلى أن ظهرت أنت في حياتي.

ـ لكن لماذا أنا؟

ـ أتظنين أنني لم أسأل نفسي هذا السؤال؟ لقد كانت حياتي مرسومة بكل دقة.. لم يكن هناك من بد إلا أن آخذ مكاناً في الشركة، وبدت أنجيلا الإضافة المناسبة إلى مركزي.. وتعلقت بها، وبدونا متناسبين بما يكفي إلى أن التقيتك.. فبدأت أتساءل حول قناعاتي الذاتية.

ـ وهذا تعقيد لم يكن مناسباً أبداً.

تمتم بخشونة:

ـ أعترف أنني قاومت.. لم تكن مشاعري نحوك مرضية.. ولم أكن أرغب في أن يتفاقم الموقف.. ولسوء الحظ لم يكن لي خيار كبير في المسألة.

ـ هل أنت واثق؟

ـ واثق من ماذا؟ واثق مما أفعله؟ أوه.. أجل. أم تقصدين هل أنا

واثق أنني أحبك؟

تنفست باضطراب:

ـ وهل تحبني حقاً؟

تمتم وهو يتأملها بشوق كبير:

ـ دعيني أشرح الأمر هكذا: لست أدري ما الذي فعلته بي لكنني لا أستطيع التفكير في حياتي من دون وجودك فيها.. فهل يجيب هذا على سؤالك؟

ـ أوه.. أليوت..

مرت أسابيع قبل أن يخبرها أليوت بما جرى بالضبط بينه وبين أنجيلا في شقتها.. في ذلك الوقت كانا متزوجين بقضيان شهر عسلهما في الجزيرة الاستوائية «تاهيتي» جنوبي الهادىء.

كان كل شيء قد حدث بسرعة.. أحياناً كانت ماندي تقرص نفسها لتتأكد من أنها لا تحلم. لكنها لم تكن تحلم فكل شيء واقعي بشكل رائع، وهما لم يفترقا منذ الليلة التي أقنعها فيها أليوت بأن تدخله إلى شقتها.. ومع أنها بقيت تعمل في المؤسسة إلى أن تزوجا، إلا أنهما أمضيا كل لحظة فراغ معاً.

مرت الأسابيع التي سبقت زفافهما بسرعة.. وجرى حديث هاتفي طويل بين ماندي وأمها حالما استقرت في شقة شارع سانت جايمس.. وتكلمت السيدة كالدر بلهجة العارف حين سمعت الأخبار من ابنتها.. لكن ساري وأهل أليوت هم من كانوا العقبة الكبيرة.. ولم تكن تتطلع بشوق إلى أول زيارة لها إلى المنزل العائلي في «كاونتي ويكلو».

في البداية، كان هناك معارضة من قبل والدته ووالده، ولقد توقعت ماندي هذا مسبقاً لأنها تعرف أنها ستتزوج من عائلة محافظة، وبما أنها مطلقة فسيكون من المستحيل إقناعهم بهذا الزواج مرة أخرى.

لكن بطريقة ما.. ولا تعرف كيف، لم تكن الزيارة كارثة كما

توقعت. . ولقد فسر لها أليوت الأمر قائلاً إن والديه عرفا أنها ستسعده. .
وفي الأيام التي تلت، توصلت ماندي إلى تقبل تقييمه للموقف.
كانت لوسي هي التي أخبرتها أخيراً أن المسألة أبسط مما تظن بكثير.
قالت تكشر في وجه أخيها:
ـ لقد أحباك. . لطالما كان يشكان بأمر أنجيلا.
أما بالنسبة لساري فلم تكن ردة فعلها معقدة كثيراً نظراً لأنها تحب أليوت. . ومما زاد في إقناعها معرفتها أنها ستحظى بحياة منزلية لائقة مع أمها بعد أن تتزوج، فقد سألت أليوت:
ـ هل ستعيش في الريف؟
ـ وهل تحبين العيش هناك؟ حسناً سترتب أمر إيجاد مهر صغير لك كي تتنقلي بسهولة أكبر.
هزت أمها رأسها عند سماعها صيحة اغتباط ابنتها وقالت ممازحة:
ـ رشوة وفساد!
استيقظت ماندي صبيحة آخر يوم لهما في تاهيتي وبقيت مستلقية عدة دقائق بدون حراك، تنظر إلى الرجل الذي جعل عالمها مكتملاً. بدا من الصعب أن يكون قد مر على لقائهما الأول أربعة أشهر فقط. الآن لم تكن قادرة أن تتصور وقتاً لم يكن فيه جزءاً أساسياً من حياتها.
ـ فيمَ تفكرين؟
فتح عينيه وهي تتأمله. . فقالت وعيناها تومضان ببريق الحب:
ـ كنت أفكر في مدى حبي لك. . ليتنا لا نضطر أبداً إلى السفر من هنا.
قال وعيناه تمازحانها:
ـ ظننتك متشوقة إلى العودة لرؤية ساري.
تنهدت:

ـ أشتاق إليها طبعاً. . لكنني أعرف أنها سعيدة بوجودها مع والديك الرائعين اللذين صمما على أن تقيم معهما.
ـ لقد أحباها وأحبتهما.
ابتسمت:
ـ إنهما يفسدانها.
تذكرت صوت ساري المهتاج آخر مرة تحدثت إليها عبر الهاتف.
ـ مهر وكلب خاصين بها. . لن تريد أبداً مغادرة «درمبارا».
ـ أعتقد أن هذه هي الغاية. . لكن هذا سيسلبنا لذة تحمل المسؤولية. . لقد حصلا على الحفيد الذي كانا يتوقعانه.
هزت ماندي رأسها تتساءل كيف تختار كلماتها التالية. . أخيراً قالت بحذر:
ـ لكن هل ستمانع. . لو أضفنا شخصاً آخر إلى العائلة في وقت أسرع مما تتوقع؟
رفع نفسه على مرفقه، ونظر إليها:
ـ وهل أنت حامل؟
ـ أجل.
ـ يا إلهي!
هز أليوت رأسه:
ـ وهل تمانعين؟
ـ وأنت؟
ـ سؤال مجنون. . بالطبع لا أمانع! طالما لا تغيرين معاملتك لي.
رطبت شفتيها وقالت تعترف:
ـ أنا. . هايد. . لم يهتم بهذا البتة. . عندما أبلغته أنني حامل بساري، لم يبدُ عليه التأثر أبداً وكأن لا علاقة له بالموضوع.
ـ أنا لست هايد.
أرجع إلى الوراء خصلة شعر حريرية عن جبينها. . وقال بنعومة:

ـ و.. أنا أيضاً.. لدي ما أقوله لك.

ـ حقاً؟ وما هو؟

كأنما أحس بقلقها، فأخذ يهدىء من روعها:

ـ لا تظهري مثل هذا القلق.. لقد وصلني خطاب من أبي منذ أسبوع، لكنني لم أطلعك على كل ما يحتويه.

أدارت لسانها حول شفتيها:

ـ ليس شيئاً له علاقة بساري.. أليس كذلك؟

ـ لا.. هل تذكرين أننا حاولنا الاتصال بآبكوت من أجل معاملات حضانة ساري؟

كتمت أنفاسها: «أجل».

ـ حسناً.. لم أرغب في إخبارك قبل الآن.. لكن.. أماندا.. حي.. لقد غرقت سفينته في بحر الصين الجنوبي منذ أكثر من ستة أشهر.

* * *

دخل أليوت إلى غرفة النوم يلف منشفة حول خصره:

ـ أعتقد أن علينا الحصول على شهر عسل ثانٍ.. فما رأيك؟ هل ستتركين تيريسا وأمي يعتنيان بابننا، إضافة إلى ابنتنا؟

كانت ماندي تجلس أمام المرآة في غرفة نومها تمشط شعرها.. فرفعت كتفيها.. وقالت تذكره:

ـ ظننت أن أمامك تلك الاتفاقية مع الكنديين لتهتم بها.. ألم تخبرني أن كولمان والآخرين قادمون لتناول العشاء يوم الثلاثاء؟

ـ أجل.. قلت لك هذا، لكنني اعتدت أن أفوض من ينوب عني.. ألن يعجبك قضاء أسبوعين في جنوبي فرنسا؟ المكان رائع هناك في هذا الوقت من السنة.

ارتجفت بسعادة:

ـ أليوت.. سيصل آل تالبوت بعد ربع ساعة.

شدها لتقف وقال:

ـ يمكنهما الانتظار.. هل قلت إن الآنسة فاستر قد أخذت الولدين إلى النوم؟

ـ أجل.. قلت هذا.

ضحكت وتابعت بابتسامة رائعة:

ـ أوه أليوت.. أيمكننا حقاً أخذ أسبوعين لنفسنا فقط؟ ألن يعتقد أبواك أنني أم غير مكترثة؟

ـ ستطير أمي فرحاً لتولي أمر رعاية العائلة مجدداً.. لقد تجاوبنا مع رغباتها وأقمنا حفل زفاف كبير.. فكيف يمتعاننا عن شهر عسل آخر؟

تنهدت ماندي برضى، وتمتمت:

ـ كان زفافاً رائعاً.. أليس كذلك؟

وتذكرت حفل الزفاف الرائع وملابس الأولاد البيضاء ورائحة عطر الأزهار.

ـ عندما أرسلت لي تلك الباقة الهائلة السنة الماضية لم أكن أعتقد أن ذات الأزهار هذه السنة ستذكرني بحفل زفافنا.

ـ إذن لقد تلقيتها.

وجلسا بجانب بعضهما على السرير، ثم قال:

ـ لم تقولي لي هذا من قبل.

تشابكت نظراتهما:

ـ ألم أقل لك؟ لا.. حسناً، أنا لم أرغب في أن أشجعك.. أليس كذلك؟

تمتم الزوج بخشونة:

ـ هذه هي الحقيقة.. وكوني ممتنة لأنني لم أقبل رفضك كرد نهائي!

ـ أوه. . أنا ممتنة جداً لهذا.

ثم أضاعت نفسها في سعادة احتضانه.

* * *